

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مجلة علمية مُحَكَّمة

العدد الثامن والعشرون

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

رئيس تحرير الحولية
أ.د / إبراهيم عبد الشافى إبراهيم
عميد الكلية

نائب رئيس تحرير الحولية
أ.د / محمد مختار جمعة مبروك
وكيل الكلية

حوليـــة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهـــرة

مجلة علمية محكمة

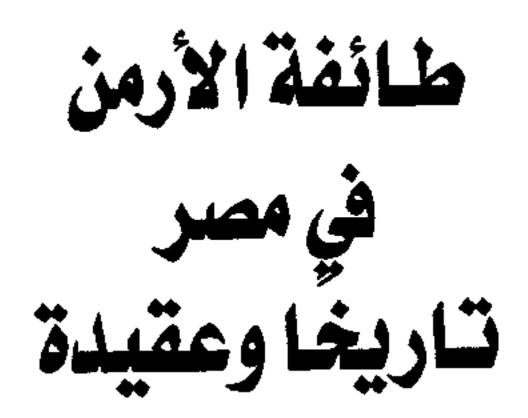
العدد الثامن والعشرون

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

الجـزء الثانـي

رئيس تحرير الحولية
الأستاذ الدكتور
إبراهيم عبد الشافى إبراهيم
عميد الكلية

نائب رئيس تحرير الحولية
الأستاذ الدكتور
محمد مختار جمعة مبروك
وكيل الكلية



طائفة الأرمن في مصر تاريخا وعقيدة

نموذج لوضعية غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية

إعداد

الأستاذ الدكتور/ رمضان عبد الباسط سالم رفاعي

أستاذ مساعد العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة

والأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين

بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

إن عالمنا الإسلامي والعربي يمر بمرحلة خطيرة ومنعطف صعب، يحمل معه الاضطراب والتوتر، فتناثرت فيه الثورات، والاعتصامات المطالبة بالحرية والعدالة والمساواة، وانطلقت من تونس ومرت بمصر، واليمن، وليبيا، وسورية، والبحرين.. وغيرها من بلادٍ عاشت ردحاً من الزمن تحت القهر والاستبداد السياسي، والضعف الاجتماعي، والانهيار الاقتصادي حتى تملكنا جميعاً إحساس الانهيار وشعور اليأس من نهوض الأمة، ويقظتها من ثباتها العميق، لكن الله تعالى أراد لها أن تنهض، وأن تتحرك – وبقوة – لكي تعود إلى مكانتها اللائقة، فقامت الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م لتنشر الضياء وتبعث في قلب العالم الإسلامي الأمل من جديد، فكان للثورة المصرية خصوصيتها وميزتها حيث حركت العالم كله، وأثارت دهشته لما لمصر من مكانتها العالمية وتاريخها الذي يؤكد على تبوئها مكانة الزعامة والريادة.

لقد كشف نجاح الثورة المصرية عن حقائق مبهرة، ودفائن أيقظت ضمائر العالم بكل ميوله وعقائده، كشف عن معدن نفيس، ورسوخ للعقيدة وعمق للوطنية المتغلغل في قلب كل مواطن مصري رغم اختلاف الدين، وأظهرت الثورة عمق التلاحم الوطني بين المسلمين والمسيحيين، أثناء الثورة وبعدها كاشفة عن وجود أيادٍ خفية –ولا تزال – هي المحركة للعبث الداخلي في مصر والمثيرة للقضايا العالقة في هذه الملفات التي تحمل بين أوراقها الأمراض التي استعصت على كافة الأصعدة منذ أزمان بعيدة حلها، مثل: (وضع الجماعات الإسلامية في مصر * والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين * العلاقة بين مصر وإسرائيل * العلاقة بين مصر والعالم الغربي * الدولة المدنية والدينية * وضع المرأة ودورها في المجتمع......إلى غير ذلك من القضايا السرطانية).

إن ما شاهدناه، وشاهده العالم كله في ميدان التحرير من صور حقيقة غير مفتعلة طرفها الأول مسيحيٌ وهو يرفع بيديه كوب الماء ليوضيء أخاه (في الإنسانية، والوطنية)

المسلم وهو يستعد للوقوف بين يدي الله سبحانه، وفي الكادر الآخر صورة المسلم الذي يلف بذراعيه آخاه المسيحي ليصد عنه رصاص الغدر والخيانة لهذا الوطن، ويتلقى عنه الطوب والأحجار كي يفديه بروحه، وهذا المشهد الأخر الذي شاهدناه في كل الثورات المصرية قديماً، ونراه حديثاً حيث يتلاحم أبناء الهلال مع أبناء الصليب في إعلان لا يقبل المزايدة عن حب للوطن، وصدق للمشاعر والأحاسيس الجامعة بينهما لهي صور رائعة يفخر بها التاريخ.

وهذا ما أكده الشاعر الكبير فاروق جويدة في إحدى مقالاته حيث حذر من ثلاثة مخاطر يجب التخلص منها وهي * غياب الحرية، ومصادرة الآراء الحرة * افتقاد المشروع الذي يجمع أبناء مصر على هدف مشترك* إفتقاد الإحساس بالمصلحة العامة.

ولما كان لهذه الروح الوثابة، ولهذا الالتحام وقت الأزمات بين أبناء الوطن الواحد، وهو ما يميز طبيعة الشخصية المصرية أدرك أعداؤها أن الفتنة هي أمضى الأسلحة، وأقواها في زعزعة الوطن، وهنا تأتي أهمية دور العلماء والدعاة، والمثقفين، والكتاب، والباحثين كي يضيئوا للناس الطريق، ويزيلوا الشبهات، وينهضوا لوأد الفتنة الطائفية التي تحرق جسد الوطن، فخطورة هذه الفتنة تكمن في تأثيراتها الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وعلى العلماء كذلك أن يوضحوا للناس أن الأديان لم تأت لتفرق بين الناس، بل جاءت لتغرس فيهم روح التوحد، ولقد كان من مكتسبات الثورة المباركة أنها كشفت تحقيق وحدة المجتمع باختلاف طوائفه، وأعلنت للعالم أن مصر بلد الديانات، وأنها على مدار تاريخها تأوي الأقليات، وتعطيهم من الحقوق بل والامتيازات ما يفوق عطاءها لأبنائها الحقيقيين.

أسباب اختيار الموضوع:

أردت بورقتي هذه أن أكشف النقاب عن هذا النموذج الذي يرفع للعالم أجمع، ولدعاة الفتنة الطائفية بالأخص الأدلة القوية على خبث طويتهم، وزيف دعوتهم من ناحية، ولعلها كذلك أن تكون لبنة في بناء صرح الحوار الفكري الذي يجب أن يوليه الدعاة والمثقفون والكتاب والباحثون اهتمامهم من ناحية أخرى.

ومن ناحية ثالثة ابتغي من وراء عرض هذا الموضوع أن أبرز الجانب الأخلاقي في الإسلام، ومدى ارتباطه بالعقيدة، وأنه لا يتم إيمان المسلم ما لم يلتزم بأخلاق دينة ومن أهم أخلاق الإسلام خلق التسامح، واحترام الآخر، وإن خالفه في المـ ـد، قال تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُو يَكْسِبُونَ﴾

[الجاثية: ١٤]

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

وقال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

وغير ذلك من آيات القرآن التي تحض على السماحة والعفو والعدل واحترام المخالف في الدين لذا قدمت هذا النموذج الحي بيننا وفي ديارنا دون أن يكون من أهداف عرضه المناقشة والنقد والتحليل لعقيدة طائفة الأرمن وذلك لأمرين:

الأول: أني لم أقصد نقد المسيحية وعقائدها تحديدًا فلهذا مجال آخر، وإنما قصدته إبراز صورة التسامح الإسلامي، ومدى ما تمتع به المسلمون في نظرتهم للآخر من أخلاق الإسلام، وكيف يتحقق التعايش في المجتمع الإسلام بين أحضان المسلمين الذين يعرفون حق الجوار.

الثاني: أن طائفة الأرمن لم تخرج – في الغالب- الأعم عن عقائد المسيحية الأم وأنها في جميع طقوسها، قد خرجت عن منهج اليهودية ومنهج الإسلام، وهذا جانب يحتاج في إبرازه ساحة أوسع، فاكتفيت بالعرض لتاريخ الطائفة، وعقائدها، ورموزها وطقوسها، وإبراز جانب التعايش الآمن القائم على التسامح، والعدل الذي أولاه المسلمون لمخالفيهم

إن الحوار بيننا وبين الآخر لا يجدي فيه التنابز بالألقاب، ولا الفخر بالأنساب، ولا التراشق بالاتهامات، وإبراز مفاخر التاريخ، وإنما يكون بالأدلة الواقعية الحية، والشهادات الدامغة التي ينطق بها كتاب الغرب، ومثقفوه، وأبناء المسيحية التي ضمتهم

المجتمعات الإسلامية، ليكونوا شاهد عدل لا يقبل قوله التأويل.

وفي مصر عاشت أقليات مسيحية أتت إليها، وهي لا تملك من الزاد ما يقيم أودها، ولا من السكن ما يؤويها، ولا من الآمان ما يحقق لها الخروج إلى الخلاء، فإذا هم في مصر أرباب اقتصاد، وفي السياسية قادة ووزراء، وصفحات البحث القادمة تحمل تلك الحقائق التي جاءت طائفة الأرمن في مصر مادة زاخرة، وصورة ناصعة لها، وشهادة تاريخية بأقلام وألسنة المسيحيين أنفسهم على عدالة الإسلام.

لقد اخترت طائفة الأرمن كإحدى الطوائف المسيحية الموجودة في المنطقة العربية وهي كثيرة لا تحصى كالموارنة في لبنان والكلدانيين في العراق ونخص بالبحث طائفة الأرمن في مصر، وذلك لعدة أسباب جوهرية منها:

- أن هذه المجموعات تعيش في المنطقة العربية التي تموج بالأحداث المضطربة، والخلافات المستعرة، وهي لا شك مدعومة من الخارج وتتخذ من الداخل الوسائل الفعالة لتحقيق أهدافها.

- أن بعض هذه الطوائف في عالمنا الإسلامي العربي قد قويت شكيمتها حتى تولت سدة الحكم كما في لبنان.

- إضافة إلى أن علاقاتها مع المسلمين كثيراً ما يشوبها الاضطراب والصدام كما هو الحال في مصر بالتحديد ولا شك أن ذلك أمر واقعي مشاهد، وإن كان من وسائل تأجيجه وسكب الزيوت لإشعاله الإعلام والسياسة على حد سواء، وإلا فالواقع كذلك من جانب آخر يرفع إلينا حقيقة مؤكدة هي التلاؤم والتوافق والتلاحم بين الأقباط والمسلمين في مصر خاصة وقت الأزمات والنوائب مما يدل على عمق المواطنة ورسوخ الوحدة بين الأخوة الذين يفترقون في المعتقد.

- ولهذا اخترت تقديم هذه الورقة البحثية لتكون إبرازاً لعظمة الإسلام من جانب،وعمق الشخصية المصرية المسلمة في فهم الواقع والتزامها بأخلاق الإسلام من جانب آخر.

- ومما يعد دافعاً قوياً لا يمكن إغفاله هو أن هذه المجموعات المسيحية لا تعيش

بمعزل عن المسلمين فهي جزء من المجتمع، وتلعب أدواراً سياسية، واجتماعية واقتصادية، وربما عسكرية، ونحن نرى الآن في لبنان مثلاً أن الشيعة الممثلين في حزب الله، وحركة أمل يقيمون تحالفاً مع بعض الأطراف المارونية المسيحية (عون وفرنجية) في مواجهة تحالف آخر يرأسه تيار المستقبل(السني) المتحالف مع بعض الأطراف المارونية (الجميل، وجعجع) إضافة إلى التيار الدرزي الذي يمثله (وليد جنبلاط).

- كما أننا لا يمكن أن نغفل أن هذه المجموعات المسيحية أو غيرها من الأقليات يراد لها – في الغالب – أن تكون عنصر اضطرابات في المجتمعات الإسلامية، إذ يتم في كثير من الأحيان دعمها، ورعايتها، واستغلالها من قبل الغرب لإضعاف المجتمع الإسلامي وضرب أبنائه بعضهم ببعض، لا سيما عندما تتم المبالغة في أعداد ونسب هذه الأقليات لإظهار أنها مضطهده، مهمشة ولا تحصل على الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها قرناؤهم المسلمون.

- كما لا يمكننا – أيضاً – إغفال أن هذه المجموعات والطوائف المسيحية ليست كتلة واحدة متفقة منسجمة فيما بينها، وإنما شأنها شأن الجماعات والأديان الأخرى، تتقاذفها توجهات وتيارات دينية وطقسية وكنسية بل وسياسية عديدة تصل فيها الأمور في غالب الأحيان إلى مستوى الصراع والتخوين بل التكفير.

وستحمل ورقة البحث تلك الحقائق فنسأل الله العون والسداد.

منهج الدراسة:

أقمت البحث على بعض المناهج التي يتطلبها البحث كالمنهج التاريخي الذي تتبعت فيه الجذور التاريخية لطائفة الأرمن، وحركتهم في التاريخ الحديث، والمنهج التحليلي القائم على دراسة بعض السمات التي امتازت بها الشخصية الأرمنية، ومدى ما أحدثته في المجتمعات التي عاشت فيها، والثقافات المختلفة التي جمعت بين أبناء الطائفة وبين غيرهم، وكذلك منهج الاستنباط الذي يربط بين المقدمات والنتائج.

خطة البحث:

لقد أقمت كذلك هذه المناهج البحثية على خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الدراسة وخطة البحث.

وأما الفصل الأول فبعنوان: الأرمن تاريخاً ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جذور الأرمن في التاريخ.

المبحث الثاني: موقع أرمينيا وأثره على تاريخها.

المبحث الثالث: خارطة الانتشار.

المبحث الرابع: الأرمن في تركيا بين السيادة والإبادة.

وأما الفصل الثاني فبعنوان: الأرمن في مصر ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نزوح الأرمن إلى مصر ودورهم في الحياة السياسية.

المبحث الثاني: أشهر الشخصيات الأرمنية السياسية في التاريخ المصري الحديث.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية للأرمن في مصر ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أماكنهم في مصر.

المطلب الثاني أعمالهم وأدوارهم في الحياة الاجتماعية في مصر.

المطلب الثالث: المدارس الأرمنية في مصر.

المطلب الرابع: صحافة الأرمن في مصر.

وأما الفصل الثالث فبعنوان: الأرمن عقيدتهم كنيستهم – طقوسهم ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الديانة الأرمنية.

المبحث الثاني: الكنيسة الأرمنية ودورها في حياة الأرمن في مصر.

المبحث الثالث: فرق ومذاهب الأرمن في مصر؟

المبحث الرابع: الاختلافات العقدية بين المذاهب الأرمنية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي خلص البحث إليها.

والله أسأل أن يتقبل مني وأن يرزقني القبول والسداد.




الفصل الأول

الأرمن تاريخاً، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جذور الأرمن في التاريخ.

المبحث الثاني: موقع أرمينيا وأثره على تاريخها.

المبحث الثالث: خارطة الانتشار.

المبحث الرابع: الأرمن في تركيا بين السيادة والإبادة.



المبحث الأول

جذور الأرمن في التاريخ.

جذب الأرمن منذ نشأتهم جل الباحثين والمؤرخين للوقوف على حقيقتهم وإثبات وجودهم بين شعوب العالم غرباً وشرقاً.

فاندفع المؤرخون صوب تاريخ الشعب الأرمني، سواء في أرمينيا أو في المهاجر التي نزحوا إليها، واستقروا بها.

ولما كانت مصر إحدى أهم البلاد التي استوطنها الأرمن، ووجدوا فيها الملاذ الآمن، والعيش الهني، كانت حاجة البحث عن الأصول العرقية والجغرافية لهذه الطائفة ملحة ومهمة للوقوف على مدى ارتباطها بالجانب العقدي والديني وهو مقصد أساسي من مقاصد بحثنا.

والجانب التاريخي للشعب الأرمني متسع الجوانب والزوايا، نظراً للموقع الجغرافي لأرمينيا حيث كان له أبلغ الأثر سلباً وإيجاباً في مجرى تاريخها[1]، ولهذا تدفعنا طبيعة البحث إلى إلقاء الضوء بإيجاز على الجانب التاريخي والجغرافي بالقدر الذي يقف بالقارئ على حقيقة الأرمن في مصر، بالإضافة إلى أنهم وضعوا أسس السياسة الخارجية المصرية مع بناء الدولة الحديثة في مصر، كما أنهم كانوا أقوى أجنحة الصفوة المدنية بسبب موقعهم في الحكم، ودورهم في بناء جسور العلاقة مع أوربا.

الأصول العرقية.

الأرمن من أقدم الشعوب التي أشارت إليها الآثار المنقوشة على الصخور التي تعود لملك الأكاديين (نارام سين – ٢٢٣٦ق.م)

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن الأرمن كقومية يرجع تاريخهم إلى ٤٦٥ ق.م كما يعتقد أنهم استوطنوا آسيا الصغرى قبل انهيار إمبراطورية الحيثيين بعد أن ذاقوا مرارة الاستعباد تحت حكم الملك سباكزار ملك ميديا الذي غزا نينوى، واحتلها ثم بسط سيطرته على أرمينيا.

---

(١) أنظر تاريخ الأمة الأرمنية: تأليف ك. ل. أستار جيان. مطبعة الاتحاد الجديدة الموصل سنة ١٩٥١ ص ٤٥.

بل إن بعض المؤرخين الأثبات يعودوا بالأرمن إلى جدهم « حائك بن ثورغون» حفيد (نوح عليه السلام) الذي استقر في البلاد الواقعة في مشارف جبل (آرارات) في الأرباض التي رست فوقها السفينة منشئة أرمينيا (بلاد الأسياد)[1]، وكثيراً ما أشار المؤرخون إلى أرمينا تحت اسم « بلاد ثورغون» أو « زيضا» «بلاد أشكانازيان» باسم «أشكيناز بن غومر».

ومن أقدم المؤرخين الذين عنوا بتاريخ الأرمن واهتم بالحديث عن أرمينيا ويعتبر العمدة، والمرجع الأساسي لكل من يطرق باب الأرمن هو المؤرخ الأرمني الأصل «موسيس خوريناتسي» (٤١٠-٤٩٣م) الملقب بـ «أبي التاريخ» و« هيرودوتس الأرمن»، لأنه واحد من الأوائل الذين كتبوا عن تاريخ الأرمن القديمة بعد الكتاب المقدس ويعد كتابه « تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي» أدق كتاب تناول أصل الشعب الأرمني، وأرمينيا لكونه جاء تلبية لرغبة ملك أرمينيا « ساهاك باكارادوني» في كتابه وفيه نجد أن موسيس خوريناتسي قد بدأ حديثه عن أرمينيا وأصل الأرمن من بدأ التاريخ البشري، واستبعد الروايات الأسطورية التي لا أصل لها، واعتمد على أوثقها، واهتم بالحديث عن قصة نوح عليه السلام، كما جاءت في الكتاب المقدس، ودلف سريعاً إلى أصل الأرمن وأنهم سموا بذلك نسبة إلى « آرام» بن « هايك» (أو حائك) بن توركوم (أو ثورغون) بن « تيراس بن حام بن نوح عليه السلام».

فهذه الأمة الأرمنية من ذريته التي سكنت تلك البلاد، وتكاثرت فيها وعمرتها، واستوطنتها ويسميهم اليونان « آرمين» كما يسميهم الفر والآشوريون « آرمنيك»[2] ولقد

---

(١)الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح الثامن: دار الكتاب المقدس القاهرة ١٩٧٠ ص ١٣، وجبل « آرارات» يقع حالياً داخل الحدود التركية ويتكون من « آرارات » الكبير، وآرارات الصغير

(٢)انظر « تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي» لموسيس خوريناتسي: نقله عن الأرمنية/ نزار خليلي ط دار أشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع دمشق – سوريا ط سبتمبر ١٩٩٩م ص٤٥-٤٦، وتجدر الإشارة إلى أن كلمة (أرمينية) قد دخلت العربية وصارت تكتب بتاء مربوطة في آخرها، وتشكل بفتح أو كسر أولها ثم سكون الراء وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة، وأصبحت النسبة إليها (أرمني) و(أرمنية) والجمع أرمن بفتح الميم أنظر (ياقوت الحموي معجم البلدان المجلد الأول بيروت ١٩٨٤ ص ١٥٩، ١٦٠ ، وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على (آرارات) الكبير لقب (الحارث) و (آرارات) الصغير (الحويرث) ولا زال الفرس يسمونه (أغري داغ) ويقال: إنه جبل الجودي الذي جاء ذكره في قوله تعالى : (وقيل ياأرض إبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيظ الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) هود آية ٤٤، انظر (الفتوحات الإسلامية لأرمينيا) ١١-٤٠هـ / ٦٣٢/ ٦٦١) للدكتور فايز نجيب اسكندر ط دار نشر الثقافة – الاسكندرية سنة ١٩٨٣م ص ٥١، أرمينيا في التاريخ العربي تأليف أديب السيد ط المطبعة الحديثة حلب ١٩٧٣م ص ٢٤.

أجمع المؤرخون المحدثون على أن الشعب الأرمني الحديث منحدر من خليط جنسي من شعوب ثلاثة: -الأورارتيان شعب الأرمن -عناصر آشورية - عناصر كلدانية.

فيما قال مؤرخون آخرون إن الأرمن ينتمون إلى قبائل تعود في أصولها إلى شعوب الهند أوربية النازحون من البلقان، وقد استوطنت هذه القبائل المنطقة الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى، وهي منطقة مرتفعة على نحو عام، وأخذت تلك المنطقة اسمها في خلال حقبة تاريخية من الأرمن، فصارت تعرف باسم أرمينيا أو هضبة أرمينيا وطبقاً للتاريخ الأرمني فقد تحضرت القبائل الأرمنية، وأقامت مجتمعاً تجسدت فيه أول مملكة في التاريخ الأرمني هي مملكة « أوارتز» التي ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد[1].

يمكننا القول إذن – من خلال ما سبق – إن أصل الأرمن يعود إلى تلك المنطقة التي رست عندها سفينة نوح عليه السلام، واستقر عندها أحد أبنائه وهو « حام»، ومن نسله جاء الأرمن.

المبحث الثاني

موقع أرمينيا وأثره على تاريخها.

تلك هي أرمينيا القديمة التي غطت مساحة شاسعة تحدها آسيا الصغرى من الغرب، وسلسلة جبال القوقاز من الشمال، والبحر الأسود من الشمال الغربي، وبحر «كاسبيان» (بحر الخزر أو قزوين) من الشمال الشرقي، وأرض فارس من الجنوب الشرقي، كما كانت أرمينيا القديمة تشكل وحدة جغرافية توصف بأنها « جزيرة جبلية» لأن المرتفعات تشكل أكثر من نصف مساحتها.

والآن وبعد أن داهمتها الحروب من كل جانب نظراً لموقعها الذي يعد من أصعب المناطق في العالم من الناحية الإستراتيجية مما جعلها – وباستمرار منذ فجر تاريخها- مركز

(١) أنظر تاريخ الجالية الأرمنية في مصر : د/ محمد رفعت الإمام ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م ص ٢٥-٢٦.

معارك وحروب بين مختلف الشعوب في أوربا وآسيا»[1]. فقد تعاقب على حكمها في فترات هزائمها البابليون، والفرس والرومان، والبيزنطيون، والعرب، والسلاجقة الأتراك، والمغول والعثمانيون، والروس إلى أن نالت استقلالها وانضمامها مـ ـرة إلى الاتحاد السوفيتي السابق وفي عام ١٩٩١م استقلت كلياً، وغدت حدودها – في ـرقت الراهن – تشمل معظم شرقي تركيا، والجزء الشمالي الشرقي من إيران وأجزاء من جمهوريتي أذربيجان، وجورجيا، فضلاً عن جمهورية أرمينيا بأكملها. وتبلغ مساحتها ما يقرب من ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع.

ويبلغ عدد سكان أرمينيا حوالي ٣ ملايين نسمة بالإضافة إلى أرمن الشتات، ولم يحقق لهم موقعهم الجغرافي نوعاً من الأمان والاستقرار الذي تطمع إليه الأمم والشعوب فقد «كان الشعب الأرمني، على مر العصور هدفاً مستساغاً للقوى المعادية المجاورة لحدوده – كما ذكرنا – ويرجع سبب ذلك إلى موقع أرمينيا الجغرافي ومواردها الطبيعية الهائلة، وظروف بيئتها الطبوغرافية، وانعدام وحدة الكلمة، والصف بين أبنائها خاصة في أحلك أوقات التاريخ الأرمني، ومما زاد الطين بلة تفشي روح الأنانية بين زعماء الأرمن، وتجاهلهم مبدأ المصلحة العامة، وتفضيلهم مصالحهم الخاصة على المصالح الوطنية، فنتج عن ذلك تمزق شملهم، بل وصل الأمر أقصاه أن بعض أمراء الإقطاع كان يتحالف مع العدو الرابض على أطراف بلاده ضد بني جنسه.

وهكذا....كانت أرمينيا طعماً لجيرانها منذ قديم الزمان، ومن الآثار السلبية الناتجة عن تلك البيئة أنها طاردة جغرافياً للسكان وعائقة – في الأغلب – عن إقامة دولة مركزية، إذ توجد بأرمينيا مساحات شاسعة ليست صالحة للاستيطان البشري، فالجبال الشاهقة، المغطاة بالجليد، والأودية العميقة الضيقة، بالإضافة إلى أنها كثيراً ما تتعرض للزلازل والبراكين، التي تزيد من مخاطر الحياة، ولذا كانت معزولة عن العالم الخارجي، ورغم ذلك فإن موقعها الاستراتيجي على مفرق الطرق التجارية، والعسكرية بين أوربا

---

(١) تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم: تأليف / فؤاد حسن حافظ القاهرة ١٩٨٦م ص ١٧٤، ١٧٧، وانظر مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للإمام صفي عبد المؤمن بن عبد الحق المعروف بالبغدادي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) تحقيق: محمد علي البجاوي ط القاهرة ١٩٥٤م جـ١ ص ٦٠

وآسيا، قد أغرى الغزاة مراراً مدى تاريخها فكانت منطقة صراع بين الإمبراطوريات المتنافسة.

كما كان لهذا الانعزال أثره على تكوين الشعب الأرمني دينياً وعقدياً، حيث اتجه الأرمن لهذا الانعزال في مسائل دينية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك تشبثهم بالزواج فيما بينهم فقط – في الغالب –ولذا يعد الأرمن من أقل العناصر المختلطة في العالم.

على أن حقيقة الحقائق الثابتة في تاريخ الأرمن، وواقعهم الملموس، والتي تتمثل نتيجة حتمية لموقعهم الجغرافي(1)هي وقوعهم في براثن الشتات، وتهجيرهم – مرغمين إلى خارج وطنهم ونزوحهم المستمر إلى مناطق عديدة من بلاد الجوار في أوربا وآسيا

المبحث الثالث

خارطة الانتشار.

تشير خارطة الانتشار إلى أن الأرمن قد ألجأتهم ظروف الصراع المحتدم بين القوى الاستعمارية بالإضافة إلى موقعهم الذي جعلهم عرضة لاجتياحات متوالية، وميداناً للتأثر بأية تطورات وأحداث تطرأ من حولهم لذلك اتجه الشعب الأرمني اتجاهين:

- أحدهما: إلى أرمينيا الشرقية حيث أقاموا لاحقاً جمهورية أرمينيا
- وثانيهما: اتجه إلى بقاع أخرى عرفت باسم بلدان الشتات الأرمني، كما تشير الإحصائيات أيضاً إلى أن الأرمن البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة موزعون على قارات العالم الخمس، والأهم في التجمعات الأرمنية هو جمهورية أرمينيا. وفيها حوالي ثلاثة ملايين نسمة يضاف نحو مليون ونصف المليون من الأرمن موزعون على جمهوريات

(١) ينظر في ذلك« أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة» للدكتور / فايز نجيب اسكندر ط الأسكندرية ١٩٨٣ ص ١٢٩-١٣٢، الفتوحات العربية لأرمينيا: دراسة تاريخية للدكتور / فايز نجيب اسكندر بحث منشور في مجلة سيرتا يصدرها معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسطنطينية العدد ٨/ ٩ سنة ١٩٨٣ م ص ٤١ حاشية رقم ١، تاريخ الجالية الأمنية في مصر للدكتور / محمد رفعت الإمام ص٢١-٣٠، استياء السلاجقة على عاصمة أرمينية (آني) د/ فايز نجيب ط الاسكندرية ١٩٨٧م دار الفكر الجامعي ص ٣ وما بعدها ، دين الأرمن الدين والقومية مقال منشور بمجلة الشبكة العراقية مجلة أسبوعية عامة تصدر على شبكة الانترنت

الاتحاد السوفيتي السابقة (أذربيجان، وروسيا الاتحادية، وتركمانستان) وبعد ذلك تتوالى التجمعات الأرمنية حسب الأهمية:

- الولايات المتحدة الأمريكية.
- ثم فرنسا وتركيا.
- كما تحتل البلاد العربية وبالتحديد العراق وسوريا ولبنان ومن خلفهم مصر جزءاً كبيراً في خريطة الانتشار الأرمني في الشتات الخارجي، وبصورة عامة فقد كان لقرب سوريا والعراق من أرمينيا، وتماسهما المباشر مع تركيا دور واضح في هجرة الأرمن إليهما، كما كان لطبيعة العلاقات التاريخية الودية التي ربطت بين العرب والمسلمين والأرمن - لا سيما في ظل الإمبراطوريات العربية في العهد الأموي - أثرها البارز في اتجاهات جماعات كبيرة من الأرمن إلى العراق وسوريا ولبنان خلال المجازر التي نفذها الحكام الأتراك عام ١٩١٥ لإبادة الأرمن، وكانت مدينة حلب واحدة من أهم محطات الشتات الأرمني ومنها أخذت تنطلق الجماعات الأرمنية إلى الأنحاء العربية الأخرى.

ويشير إلى ذلك علامة الشام محمد كردعلي أحد أبرز الكتاب النابغين الذين دعوا إلى الحرية، وكان للأرمن نصيب وافر من كتاباته حيث خصص في كتابه « المذكرات » مقطعاً تحت عنوان (الأرمن وارتحالهم) فأشار إلى أن الأرمن قد ارتحلوا إلى بلاد العرب وفي مقدمتها الشام، وأنهم يوم عودتهم إلى بلادهم نادوا من قلوبهم مناداة المقر بالجميل آسفين على مغادرة الديار العربية.

وعن معاملة العرب للأرمن، ودورهم أثناء محنتهم يقول: « نعم لقي الأرمن من الكثرة الغامرة ما عرف به العربي من كرم النفس، ورعاية الغريب فعدوا الشام وطنهم الثاني، ومنهم من اغتنى من أرضنا بكدّه وجدّه فما حسدناهم، ولا مننا عليهم، وشعب ذكي من مثل الشعب الأرمني لا يسعه أن ينكر الجميل، والأرمني مهما كان من التباين بين حضارتنا وحضارته هو شرقي، ويفاخر مثلنا بشرقيته »[1]

(١) انظر في ذلك المذكرات : تأليف / محمد كردعلي ط دمشق سنة ١٩٥١م الجزء الثالث ص ٦٨٦.

وتحت عنوان « المهاجرون والمحدثون اليهود والأرمن» يبين دواعي انتشارهم ونزوحهم إلى الشام، وديار العرب قائلاً: « وكذلك يقال في مهاجرة الأرمن والروم والشام، فقد قذفت الحوادث الأخيرة في قيلقية وأزمير نيفاً ومائة وثمانين ألف نسمة أكثرهم من الأرمن نزلوا حلب والشام وبيروت وغيرها من البلدان الصغرى»[1]

ويشهد لعظمة المعاملة العربية للأرمن جملة من كتاباتهم ومفكريهم ومنهم الدكتورة « نورا أريسيان» التي تؤكد على مالمسه الأرمن من حرية وعدالة في الوقت الذي تجرعوا فيه مرارة الإبادة والتشريد على أيدي الجنود الأتراك[2]، وعلى الصعيد السياسي الرسمي لأرمينيا يشهد « فارتان أوسكانيان» وزير الخارجية الأرمني الذي أمضى طفولته في إحدى دور الأيتام في لبنان حيث قال بعيد توقيعه مذكرة التفاهم المشترك مع جامعة الدول العربية ٢٠٠٥: إن الأرمن لم يعيشوا فقط في البلدان العربية بل منحوا فرصة الازدهار والحصول على المواطنية في أوطانهم الجديدة مع المحافظة على هويتهم القومية،..... إن الأرمن لم ينسوا أبداً المعاملة الإنسانية التي لا قوها من الشعب العربي».

ويضم ريتشارد دكمجيان أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا شهادته إلى سابقيه قائلاً: « إن الدعم الكبير الذي حصلت عليه أرمينيا بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي عندما كانت في وضع سيء كان من العرب».

ويكشف أوسكانيان أحد رجال السياسة الأرمنية النقاب عن طبيعة العلاقة بين الأرمن والعرب فيشير إلى أن وجود مجتمعات أرمنية كبيرة، وناجحة في العالم العربي يلعب دوراً إيجابياً جداً في تقدم وتطوير علاقتنا مع جميع الدول العربية[3]، وأكد على إبراز العلاقة الحميمة بين الأرمن والعرب، ونشوء أوجه التلاقي والمثاقفة بين العقليتين في كثير

---

(١) انظر « خطط الشام» لمحمد كردعلي ط بيروت ١٩٧٠م ط١ ص٣٢، وانظر لجزء الثاني من خطط الشام أيضاً ص ١٣٩، ١٣٠، ١٦٣، وانظر جريدة « المقتبس » التي كان يصدرها محمد كردعلي عام ١٩٠٨ وكانت تتابع أخبار الأرمن ومأساتهم منذ البداية ومحاولات الأتراك لتهجير الأرمن جبرياً من الصحراء السورية وتفاصيل المأساة الكبرى وهي المذبحة التي أبيد فيها المليون ونصف أرمني ، أنظر (تاريخ الصحافة السورية لأديب خضور دمشق ١٩٧٢ ص ٩٦، وانظر (تطور الصحافة السورية في مئة عام تأليف جوزيف إلياس بيروت ١٩٨٣م ط/ ١٢٨ ، ١٣٢.

(٢) انظر مجلة الأسبوع الأدبي عدد ٧١٦في ٨ يوليو ٢٠٠٠

(٣) العلاقات العربية – الأرمنية صداقة ثابتة في جوار متوتر مقال بقلم : شريف حكمت نشاشيبي على موقع العرب أون لاين ٥/ ت/ ٢٠٠٦

من الجوانب، وفهم كل منهما لطبيعة الأخير (المطران بطرس) مراياتي رئيس أساقفة حلب وتوابعها للأرمن الكاثوليك[1] ويعود سبب عدم الهجرة إلى البلد الأم (أرمينيا) بأعداد كبيرة إلى اندماج الأرمن كلياً في المجتمعات العربية.

وهناك انحياز سياسي أرمني حيال الشأن العربي - الأوربي الأمريكي- ففي الشأن العراقي يقول « أوسكانيان»: نرغب في أن نرى دولة سيدة موحدة، مستقرة، وديمقراطية».

وفي الشأن الفلسطيني تعرب أرمينيا عن تظامنها مع الموقف العربي، فإقامة دولة فلسطينية مستقلة هو من صميم الحلم الأرمني بترسيخ الأمن، والاستقرار في المنطقة، ويفسر ذلك ما فعله سفير جمهورية أرمينيا في فلسطين عندما تزوج من سيدة عربية [2] كما لم ينخرط الأرمن في الحرب الأهلية في لبنان.

تلك هي طبيعة العلاقات الوطيدة بين الأرمن والعرب، كما شهد بها بعض رجال الأرمن على اختلاف ثقافاتهم، ومواقعهم، وهي في مجملها تقدم الإجابة الصحيحة على السؤال الذي يفرض نفسه في هذه الورقة من البحث لماذا انخرط الأرمن في المجتمعات العربية بهذه الدرجة؟ ولماذا استحقوا أن يكونوا مادة البحث؟ إن دوافع الباحثين والمفكرين في إبراز العلاقة بين الإسلام والآخر وكشف اللثام عن حقيقة الإسلام، وبيان موقفه من مُخَالِفهِ يجب أن يتجاوز خط الإقليمية، والقومية الذي يقيمه الفكر الاستعماري كأداة فاعلة لعزل العالم الإسلامي عن الغرب المسيحي عموماً، وتمزيق الشرق داخلياً على وجه الخصوص.

يؤكد ذلك بعض الباحثين في قوله« العلاقات الجيدة بين العرب والأرمن تعود إلى قرون مضت....إن العالم العربي رغم كونه يدين بالإسلام كالأتراك إلا أنه منح الأرمن ملاذاً آمناً نتج عنه مجتمعات أرمنية عاشت في أغلب الدول العربية خصوصاً في مصر والعراق والأردن ولبنان وفلسطين وسوريا، ويبلغ عددها اليوم مئات الآلاف وربما يعود ذلك إلى حقيقة أن للعرب قضية مشتركة مع الأرمن في معارضتهم الحكم العثماني لقرون

(١) انظر « قراءة في تاريخ الترجمة الأرمنية - العربية في سوريا» دراسة دقيقة أعدها المطران بطرس مراياتي رئيس أساقفة حلب وتوابعها للأرمن الكاثوليك منشورة في الملحق الشهري لجريدة « أريف» الأرمنية عدد رقم ١٢ السنة الثالثة ٢٠٠٠، من ص ١٩-٢٨ دار نوبار للطباعة القاهرة

(٢) العلاقات العربية الأرمنية مرجع سابق.

عدة، ودفع الثمن غالياً نتيجة تلك المعارضة.[1]

كما ضمت العراق – وهي بلد المذاهب والفرق، والتجمعات الدينية – آلاف الأرمن بالإضافة إلى مجموعات أخرى مسيحية.

فالتقرير الدولي لحرية الأديان لسنة ٢٠٠٥ الصادر عن السفارة الأمريكية ببغداد يفيد أن قادة الكنيسة في (أربيل) و(الموصل) يقولون بأن مسيحي الشمال يشكلون تقريباً ٣٠٪ بالمائة من السكان المسيحيين في البلاد وأن أربعة من المجتمعات المسيحية الخمسة الأكبر تتمركز في الموصل (١٥٠,٠٠٠) وأربيل (٢٠,٠٠٠إلى ٢٥,٠٠٠) ودهوك (١٣,٠٠٠) وكركوك (١٢,٠٠٠).

وبحسب كبير أساقفة أبرشية الأرمن فإن (٢٠,٠٠٠) أرمني مسيحي بقى في البلد، ويقدر بأن (١٢,٠٠٠) منهم يقطنون في بغداد، والباقون موزعون بين الموصل والبصرة وكركوك...[2]

المبحث الرابع

الأرمن في تركيا بين السيادة والإبادة.

لا يستطيع الناظر إلى حال الأرمن، والمتابع لأوضاعهم في بيئاتهم المختلفة، وإلى ما آل إليه أمرهم في الأوطان التي هاجروا إليها ومنها بالطبع مصر أن يغض طرفه أو يختزل الحديث عن الأرمن في الدولة العثمانية، ونحن هنا في حاجة إلى موجز كاشف عن حالهم، وسر نزوحهم إلى مصر فنقول:

لقد أوقع الصراع المحتدم بين الدولتين العظميين فارس وتركيا – أرمينيا في أودية الشتات، والتمزق، فانقسمت أرمينيا بينهما فأطلق اسم (أرمينيا العثمانية) على ست ولايات هي « بلقيس (بدليس) وأرزن الروم (أرضروم) وفان (وان) ومعمورة العزيز (خربوط) وجزء من ديار بكر وسبواس كما أطلق اسم « أرمينية الفارسية» على المنطقة

(١) المصدر نفسه.

(٢) التقرير الدولي لحرية الأديان لسنة ٢٠٠٥ الصادر من قبل مكتب الديمقراطية وحقوق الأنسان والعمل سفارة الولايات المتحدة / بغداد / العراق.

الممتدة على الضفتين الشرقية، والغربية لنهر أراكس (الرس)، وتضم مدن يريفان وناخشيقان وايتشيميادزين- المركز الروحي للأرمن- وجبل آراراد وقد استولى الروس عليها منذ عام ١٨٢٨م[1].

وفي البداية اعترف العثمانيون بالأرمن كملة مسيحية تعتقد بطبيعة واحدة للمسيح عليه السلام كما سيأتي، فأصبح لهم وجود رسمي في تركيا ولهم مؤسسات دينية فتكون بالأستانة شريحة من الأرمن الأثرياء الذين كانوا متعاونين مع الحكومة العثمانية، وتلقبوا منذ منتصف القرن الثامن عشر بلقب « أمير» وقد رفعهم إلى هذه المكانة ما تمتعوا به من ثروة طائلة استفادت منها الحكومة العثمانية. ولذا حازوا أرفع المناصب وأقواها تأثيراً في المجتمع التركي فعمل بعض الأمراء صيارفة كما تقلدوا نظارة دار سك العملة السلطانية التي سيطر عليها أمراء عائلة « دوزيان» منذ عام ١٧٧٥ حتى عام ١٨٨٠ كما كان بعضهم جواهرجياً، وصاغه أمدوا أسرة السلطان وحاشيتهم بحوائجهم من ذلك، كما ساهم أمراء الأرمن في إدارة المشروعات الصناعية القليلة بالأستانة والأقاليم وكذا تقلد أمراء الأرمن وظيفة (معمار باشى السلطان) يعني كبير المعماريين.

وبالجملة فقد انخرط كثير من الأرمن في النظام الوظيفي، وتقلدوا ألقاباً، وأنواطاً عديدة حتى أفادت بعض الإحصائيات عنهم في الحكومة العثمانية إلى وجود اثنين وعشرين وزيراً في وزارات الخارجية والمالية والخزانة والأشغال العامة والبريد والتلغراف واللاسلكي، وخمسة وكلاء وزارات، وأربعة أعضاء في مجلس الأعيان، وأربعة أعضاء في مجالس الدولة، وعشرة نواب في أول برلمان عثماني « مجلس المبعوثان» سنة ١٨٧٦، وأكثر من عشرة قناصل عموميين، وعدد من القناصل في برلين وفيينا وبروكسل ولندن وروما، وعدد من نائبي الحكام العموميين للأقاليم، فضلاً عن الكثير من المستشارين والسكرتيرين والتراجمة والمديرين وغيرهم من الموظفين.

كما برعوا في العمالة والصناعة فكان منهم صناع الجلود والخياطين والبنائين

---

(١) انظر الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها : لعبد العزيز الشناوي ط الأنجلو المصرية ١٩٨٣م ج٢/ ١٥٤٧،١٥٣٦، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم لفؤاد حسن حافظ ط دار نوبار القاهرة ١٩٨٦م ص ١٧٢، ١٨٠.

والنجارين والخبازين والبوابين والسقائين، والميكانيكيين والحلاقين، كما كانت لهم مدارسهم وصحافتهم ومجلاتهم حيث كان منهم ناشرون ومترجمون وطباعون ومصممون ومخرجون.

كما برعوا في الفن والمسرح والموسيقى بل كانوا أول من أدخل في المسرح النوته الموسيقية، وكان نساء الأرمن هن أول من قمن بالفن المسرحي حيث كانت النساء المسلمات ممنوعات من ذلك.

وقد بلغ بهم إلى هذه المنزلة السيادية – إن صح التعبير- في المجتمع العثماني إخلاصهم، وتفانيهم في أعمالهم، ومدى تأثيرهم في كل المجالات التي تبوأوها ورغم هذه المكانة الساحقة للأرمن في الدولة العثمانية إلا أن الأحداث قد أسقطتهم في حضيض الحرمان، والإبادة بعد أن كانوا في ذروة المجد، والسيادة.

ففي مطلع القرن التاسع عشر ألمت بالدولة العثمانية ثلة من الأحداث كان الأرمن في مقدمة من ذاقوا مرارتها، فبدأ ببعض الولايات العثمانية التي تاقت إلى الحرية والاستقلال ومروراً بالأطماع الروسية التي اتجهت إلى التوسع، وكسب حدود عثمانية كي تصل إلى مياه البحر المتوسط إضافة إلى صراعها الدائم مع الأمبراطورية الفارسية.

وهي في مجملها أمور هزت أركان الحكومة العثمانية وشتت شملها وطبعي أن ينهض الأرمن إلى اللحاق بمن يأخذ بيدهم إلى تحقيق أحلامهم في الاستقلال، والحرية فساروا في ركب روسيا، وبرز ولاؤهم للقيصر الروسي في الوقت الذي مالت فيه عن السلطان العثماني، فعلق الأرمن آمالهم في الاستقلال على تلك الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧م فانضم كثير منهم إلى الجيش الروسي متأثرين بالدعاية الروسية لمساعدتهم في حصولهم على الاستقلال وإنشاء دولة مستقلة لهم في شرقي الأناضول.

وهو الأمر الذي أثار حفيظة الحكومة العثمانية، وأجج نار غضبها فصبت جامه على الأرمن صباً وسامتهم سوء العذاب حيث أوقعت النهب والحرب والتدمير والأسر والتشريد في الولايات الأرمنية، مستخدمة الجيش غير النظامي، والقبائل المشاكسة ومما زاد النار اشتعالاً كثرة الثورات الأرمنية داخل الدولة العثمانية حتى احتل أفراد من حزب

(الطاشناق) البنك العثماني في الآستانة ٢٦ أغسطس ١٨٩٦ بل حاولوا قتل السلطان عبد الحميد ذاته أثناء ذهابه لصلاة الجمعة وهو ما دعاه إلى إصدار أوامره بقتل الأرمن في الآستانة وفان وأرضروم وساسون وغيرها من الولايات التي نزحوا إليها.

والقراءة المتأنية في وضع الأرمن في الدولة العثمانية ترفع إلى الأنظار أمراً أصيلاً يعلل – من وجهة نظر تركيا-مذابح الإبادة التي أقامتها الحكومة العثمانية ألا وهو الخطر الداهم الذي كان يمثله الأرمن للآستانة حيث طالبوا بالقسم الشرقي من الأناضول ليقيموا عليه دولتهم في الوقت الذي قبع فيه الأرمن على ست ولايات كانت بمثابة الخط الممتد إلى عمق الوطن العثماني الأصيل وهو الأمر الذي يعني – لو قامت للأرمن دولة من حدود القوقاز حتى ساحل البحر المتوسط- انهيار الدولة العثمانية لذا أقدم العثمانيون على الإبادة، والإطاحة بالأرمن. لعل أخطرها على الإطلاق وأشدها ألماً وأعمها جرحاً لن يندمل في نفس الأرمني على توالي الأيام والسنين، بل وصفت بأنها أشد الصفحات سواداً في تاريخ القرن العشرين، رغم مرور عشرات الأعوام على حدوثها فإنها لا تزال وقائعها حية في ذاكرة الشعب الأرمني.

إنها مذابح عام ١٩١٥م في الدولة العثمانية التي راح ضحيتها مليون ونصف المليون أرمني وهو ثلث مجموع الأرمن آنذاك تقريباً.

بالإضافة إلى المجازر فقد بلغ عدد الكنائس المدمرة ٢٠٥٠ كنيسة و٢٠٣ أديرة كما تحولت المدارس الأرمنية والحقول والقرى وكل ممتلكات الأرمن دماراً أو استولى عليها الأتراك[1] وهذه الحقائق نصت عليها الاتفاقية الدولية.[1]

---

(١) انظر في ذلك : المجتمع الإسلامي والغرب تأليف/ هاملتون جيب وهارولد بووين جزءان ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ضمن سلسلة « تاريخ المصريين » رقم ٣٦ الجزء الثاني- الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٠م ص ٣٩٦-٣٩٩. ٤١٢ القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين والحرب العالمية الأولى ١٨٧٨-١٩١٤م لمحمد عبد الرحمن برج مجلة المؤرخ المصري – كلية آداب القاهرة يناير ١٩٩٠م ص ١٨-٢٠ ، مجازر الأرمن وموقف الرأي العام العربي منها لنعيم اليافي ط دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية –سورية ١٩٩٢م ص١٤-٢٢، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها الجزء الثاني صفحات ١٥٤٦، ١٥٤٨، ١٥٥٠ ، ١٥٦٧، ١٥٥٩، ١٥٦٠، وانظر تفاصيل المذابح في « القضية الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨-١٩٢٣»، للدكتور محمد رفعت الإمام القاهرة ٢٠٠٢ دار نوبار للطباعة من ص ٥٦-٦٧.

وهنا تجب الإشارة إلى أن هذه المجازر الإنسانية قد أشعلت حماسة المفكرين والمؤرخين الأرمن لينفثوا عن آلامهم ويدافعون عن قضيتهم أمام الرأي العام العالمي في كتاباتهم ومقالاتهم فالكاتب الأرمني الشهير « انترانيك زاروكيان» يجسد تلك المرارة والحزن والإحساس المميت بالظلم والقهر الذي عاشه أطفال الأرمن وهم يشاهدون آباءهم في الحتوف فحولتهم تلك المشاهد مسخاً بشرية لم تر طفولتهم سوى الكآبة فصاروا رجالاً بلا طفولة.[2]

إن الواقع يؤكد على أن تلك المذابح بقدر ما تركت فظائعها من جراح غائرة في نفوس أبناء أرمينيا على مر أجيالهم، فإنها كذلك قد تركت آثارها البعيدة المدى على أبناء وأحفاد الباب العالي« تركيا» وخاصة من الناحية السياسية، في علاقاتها مع دول العالم الغربي، وفي مقدمتها فرنسا التي صوت برلمانها في ٢٩ مايو ١٩٩٧م على الاعتراف علناً بوقوع إبادة عرقية للأرمن ١٩١٥م بأيدي الأتراك، وهو ما قدَّم تركيا للشعوب الأوربية عموماً وللقادة السياسيين خصوصاً في صورة العنف والإرهاب، وذلك في الوقت الذي تسعى فيه تركيا – وبإلحاح – كي تحظى بأن تكون عضواً في الاتحاد الأوربي، وهنا ثارت نيران العداء الدفين[3]، واشتعل الصراع السياسي والتاريخي بين الاتحاد الأوربي بصفته مجتمعاً متشابكاً انخرط فيه الأرمن فصاروا من نسيجه وبين تركيا المتهمة – بالأدلة- بإبادة الشعب الأرمني والرفض التركي، وقد حالت دون قبول أوربا لتركيا عضواً في مجتمع أوربي كبير.

---

(١) انظر « توضيح من الهيئة الوطنية الأرمنية – الشرق الأوسط- بقلم / فيرا يعقوبيان المديرة التنفيذية للهيئة الوطنية الأرمنية صدر بجريدة الديار بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٦ لبنان ومن هذه الاتفاقات الدولية المحكمة الدائمة للشعوب ١٩٨٤ ، معاهدة سيفر ١٩٢٠ الأمم المتحدة تقرير لجنة جرائم الحرب ١٩٨٤ اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس ومعاقبتها ١٩٨٤م اللجنة الفرعية للأمم المتحدة بشأن التمييز وحماية الأقليات ١٩٨٥م البرلمان الأوربي ١٩٨٧.

(٢) انظر « أناس بلا طفولة» للكاتب الأرمني / أنترانيك زاروكيان – ترجمة هراج ساهكيان بيروت ١٩٩٧م ويعبر بدقة الكاتب العراقي/ مسعود عكو عن مآسي وآلام المجزرة في مقالة (مجازر الأرمن ذكرى ألم متجدد) على شبكة الانترنت.

(٣) قدم الأرمن ومازالوا احتجاجات بصور متعددة فتارة في شكل معارض تشكيلية تعيد صورة الماضي في أذهان الحاضر : (جريدة المساء المصرية في غرة المحرم ١٤٢٦هـ ١٠ فبراير ٢٠٠٥) العدد ١٧٤٥٣) وتارة في شكل مظاهرات في دول أوربية وعربية عديدة (جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٤ عدد ٤٣١١١) وانظر مقالة « الأبادة العرقية للأرمن تثير توتراً في العلاقات بين تركيا وفرنسا» بقلم الكاتب الأرمني الشهير بيرج ترزيان في افتتاحية العدد السابع لجريدة (آريف) الصادر في يوليو ١٩٩٨م.

وهكذا كانت المذابح العثمانية للأرمن سبباً في تأزم العلاقة بين تركيا وأوربا حديثاً كما كانت أهم العوامل في نزوح الأرمن وفرارهم من ولاياتهم وأوطانهم في الدولة العثمانية قديماً إلى دول الجوار في أوربا وآسيا وإفريقيا ولعل مصر هي الوطن الذي وجد فيه الأرمن مرفأهم وأمانهم فماذا عن وضعهم في مصر؟

***




الفصل الثاني

الأرمن في مصر ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نزوح الأرمن إلى مصر ودورهم في الحياة السياسية.

المبحث الثاني : أشهر الشخصيات الأرمنية السياسية في التاريخ المصري الحديث.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية للأرمن في مصر. ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : أماكنهم في مصر.

المطلب الثاني : أعمالهم وأدوارهم في الحياة الاجتماعية في مصر.

المطلب الثالث : المدارس الأرمنية في مصر.

المطلب الرابع : صحافة الأرمن في مصر.





المبحث الأول

نزوح الأرمن إلى مصر ودورهم في الحياة السياسية.

دفعت أحداث المذابح والمجازر للإبادة الجماعية طائفة غير قليلة من الأرمن للنزوح إلى مصر كما أسلفنا، ولكن التاريخ يشير إلى أن علاقة الأرمن بمصر لم تبدأ من تلك الأحداث، وإنما اعتبر أرمن مصر من أقدم الجاليات الأرمنية التي عاشت في الشرق، وبإطلالة سريعة على تاريخهم في مصر نجد أنه يعود إلى ما قبل الميلاد.

فعندما استولى رمسيس الثاني (١٣٠٩-١٢٣٥ ق.م) على جنوب أرمينيا أسر بعض سكانها وأتى بهم إلى مصر، وزادت حركة هجرة الأرمن إلى مصر من خلال العهد البيزنطي (٥٢٧-٦٤٠م).

كما عاش الأرمن في مصر حياة مزدهرة في فترة الحكم الفاطمي (٩٦٩-١١٧١) وقد ترّهب بعضهم في الأديرة المصرية، ودير سانت كاترين في سيناء، وشيدوا في هذا العصر بعض الكنائس الأرمنية في مصر ومنذ العصر الإسلامي شارك بعض الأرمن الذين اعتنقوا الإسلام في الفتح العربي مثل القائد فارتان (وردان) الذي شيد سوق فارتان في الفسطاط، ثم ولاه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مسئولية خراج مصر، وبقي مسئولاً حتى استشهد في عام ٦٧٣م وذلك أثناء غزو البيزنطيين « البرلس بساحل مصر الشمالي.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفتوحات الإسلامية لأرمينيا قد بدأت في أعقاب الفتح الإسلامي لفارس، وفلسطين وسوريا، ومصر حتى وقفت الجيوش الإسلامية على أبواب أرمينية عام ١٩هـ (٦٤٠م) ثم شن المسلمون حملات متتالية على أرمينيا بين عامي ١٩-٢٥هـ (٦٤٠-٦٤٥م) أسفرت عن استيلائهم على جزء كبير منها، ثم أعاد اليزنطيون سيطرتهم عليها عام ٢٨هـ ولكن مالبث معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) أن أعاد للمسلمين سيطرتهم عليها مرة أخرى بموجب اتفاقية سلام بين المسلمين والأرمن في عام ٤٠هـ (٦٦١م) وبذلك انسلخت أرمينية عن الإمبراطورية البيزنطية، وخضعت للسيادة

الإسلامية عن رضا وطيب نفس[1].

وفي ظل السيادة الإسلامية تمتع الأرمن بالحقوق التي كفلها – ويكفلها – الإسلام لأتباعه ورعاياه، حتى تمكن بعض الأرمن المسلمين من تولي المناصب الكبرى في الدولة الإسلامية فتولى الأمير علي بن يحيى الأرمني المسلم إمارة مصر خلال الحكم العباسي (٧٥٠-١٢٥٨) وذلك في عام ٢٢٦هـ (٨٤٠) ثم في عام ٢٣٤ هـ (٨٤٨) لمدة بلغت سنة وثلاثة أشهر تقريباً.

وقد وصفه ابن تغرى بردى بقوله « كان أميراً شجاعاً مقداماً جواداً ممدحاً محمود السيرة في ولايته وأصله من الأرمن»

كما تمتع الأرمن في العصر المملوكي (٩٦٩-١١١٧) بكامل الحريات الدينية والثقافية التجارية، وفي هذا العصر برز اسم الأرمني / بدر الجمالي الذي تولى الوزارة (١٠٧٠-١٠٩٤) وخلفه ابنه الأفضل شاهنشه (١٠٩٤ -١١٢١) وغيرهما.

وبتولي الجمالي للوزارة بدأ عصر الوزراء الذين توارى في ظلهم الخلفاء، وأصبح السلطان الفعلي في أيديهم، وكانت غالبية هؤلاء الوزراء من الأرمن.[2]

حتى أطلق المؤرخ « جاستون فييت» على النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (العهد الأرمني)[3]، وهو ما يقف بنا على ما وصل إليه الأرمن في عصر الفاطميين، وفي العصر الأيوبي (١١٧١-١٢٥٠)، كان للأرمن دورهم كذلك في الحياة السياسية حيث خدم مع صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين قراقوش، وشرف الدين قراقوش وهو الذي نسبت لعصره مقولة (حكم قراقوش).

كما ازداد في العصر المملوكي (١٢٥٠-١٥١٧) بعد سقوط أرمينية الصغرى في أيدي

---

(١) انظر ذلك في الأقليم المصري والطائفة الأرمنية للكاتب الأرمني/ آرشاج آلبوجيان ط القاهرة ١٩٦٠ ص ٧، الفتوحات الإسلامية لأرمينية د/ نجيب اسكندر ص ٧١ وما بعدها ، الأرمن التاريخ الصامت للكاتبة اللبنانية/ فيرا يعقوبيان مقال في جريدة الشرق الأوسط –لندن– ٥ أيار ٢٠٠٦.

(٢) انظر تاريخ الجالية الأرمنية في مصر د/ محمد رفعت الإمام ص٦٦

(٣) تقرير الحالة الدينية في مصر بأقلام فريق من الكتاب والباحثين صادر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام بالقاهرة العدد الثاني ص ١٠٥.

المماليك عام (١٣٧٥) عدد الأرمن وقد عملوا في كثير من الصناعات، والحرف، بل يرى بعض المؤرخين أمثال « ستانلي يلن بول» و«جاستون فييت» أن « شجرة الدر » التي حكمت مصر، والتي تعد من السيدات القلائل في التاريخ الإسلامي التي تولت العرش، وهي زوجة الملك الصالح كانت من أصل أرمني.[1]

والإمام المقريزي في خططه يذكر أن من بين عشرة آلاف مملوك كانوا في مصر عام ١٢٩٠ ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك أرمني وشركسي.

ومن الوزراء الأرمن في العصر المملوكي حافظ الدين أبو الفرج وزير الملك الظاهر البرقوقي، وابنه تاج الدين عبد الرزاق، وحفيده فخر الدين عبد الغني، ولقد بلغت قوتهم، واتسعت دائرة نفوذهم وامتلكوا من الحرية الدينية ما مكنهم من تشييد بعض الكنائس في ذاك العصر، فشيدوا كنيسة القديس « مبناس» في كوم الأرمن بالقاهرة[2]

وكما اشتهر كثير من الأرمن في مصر الفاطمية مثل الأمير عزيز الدولة الأرمني حاكم قلعة حلب إبان حكم الحاكم بأمر الله (٩٣٦-١٠٣١م) و« جعفر المظفر» رئيس ديوان الأفضل، و« فاساك » حاكم قوص عام ١١٣٤، و« أبي منصور كستا » حاكم الاسكندرية والقائد « تابع الدولة قلماز» وغيرهم[3]

وهكذا استمرت هجرة الأرمن إلى مصر وكان الدافع لهجرتهم إليها الرغبة في تحقيق مستوى معيشي لا يطمعون إلى تحقيقه إلا في مصر ويلاحظ أنهم قد عاشوا في مصر أزهى عصورهم وخاصة في عهد الحكم الفاطمي، حيث ارتقوا أعلى المناصب، واستأثروا بها وتمتعوا بكامل الحريات، وهو أيضاً ما حدث لهم في مصر الحديثة في القرن التاسع عشر الذي شهد العديد من التطورات التي كانت غالباً في صالح نزوح الأرمن بكثرة،

---

(١) تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٥، مقال بعنوان « أنا في الأصل أرمني» بجريدة الأهرام المصرية العدد ٤٣٩٥٨ لسنة ١٣١ في ١٤ ابريل ٢٠٠٧، تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية من سنة ٤٦٦-٥٦٦ من ١٠٧٣-١١٧١م تأليف سهام مصطفى أبو زيد ط دار الكتاب الجامعي القاهرة ١٩٩١م من ٣٣-٤٩

(٢) تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية ص٥٠-١٨٥

(٣) نفس المصدر ص ٥٠ومابعدها، تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية ص ٥٠، الوزارة والوزراء في مصر من العصر الفاطمي تأليف : محمد حمدي المناوي ط دار المعارف- القاهرة ١٩٧٠ ص ٧٧-١٠٤،

وتقلدهم أعلى المناصب.[1]

أما في عهد محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٩) مصر الحديثة.

فقد نزحت فيه أعداد كبيرة إلى مصر، وحازوا مكانة مرموقة عند محمد علي لم تنلها طائفة أخرى حيث كانوا يده التي يدير بها دفة الحكم وإدارة البلاد، وبرزت منهم شخصيات كان لها دور بارز في تغيير مسار الأرمن، ورفعة شأنهم في عهده بعد أن كانوا في عهد الدولة الأيوبية مثل اضطهاد صلاح الدين الأيوبي لما لمس فيهم من إخلاص، ووفاء للفاطميين، وإن كانوا قد وجدوا من صلاح الدين معاملة جيدة بعد أن فتح القدس عندما وجد فيهم إخلاصاً وشجاعة.[2]

والحق أن المتأمل في العلاقة القائمة بين الأرمن كطائفة مهجرة وبين محمد علي كحاكم لمصر يعطينا دلالة قوية على سر نزوحهم إليها، كما يقف بنا على طبيعة تلك العلاقة، حيث كانت قائمة على المصالح والمنافع المتبادلة.

أما محمد علي فقد كان ألمعي الذكاء، متقد الفكرة فاستغل الأرمن، واعتمد عليهم في تحقيق هدفه الكبير وهو إقامة حكم ذاتي لمصر وهو الأمر الذي يحتاج إلى عناصر كالأرمن حيث يمتازون بالدراية التامة بالشرق وعاداته، وفي نفس الوقت كانوا على علاقة وثيقة بالمجتمعات الأوروبية، وهو ما يعني أنهم الباب الذي يلج منه محمد علي إلى أوربا، والجسر الذي يربطه بها فغدوا مطلوبين للترجمة، والوساطة في المعاملات المالية، والتجارية، والمداولات الدبلوماسية بينه وبين الأجانب [3] كما يضاف إلى ذلك حبه للأرمن، وثقته بهم.

وأما الأرمن فقد جذبهم إلى مصر حاجتهم إلى الحماية السياسية، والمجالات الوظائفية، والحصول على الحياة الكريمة الآمنة، فكان محمد علي بسلسلة مشروعاته

---

(١) تاريخ الجالية الأرمنية في مصر ص ٧٠.

(٢) تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى لنوربار دير ميكائيليان ص ١٣٦-١٧٠ نقلاً عن تاريخ الجالية الأرمنية ص ٦٧.

(٣) الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر تأليف / حلمي أحمد شلبي ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٩٣ ص ١٣٤-١٣٦.

الإصلاحية الاقتصادية والإدارية التي استلزمت أعواناً مخلصين كان ملاذاً وحصناً وجد فيه الأرمن مثواهم ومأواهم، وهو ما أكده عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ المصري حين تناول فترة حكم محمد علي بقوله: « ولا يتقرب إليه من يريد قربه إلا بمساعدته على مراداته، وتعاهده....وخصوصاً أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم.»[1]

والواقع أن الأرمن كانوا على نوعين الأول: كان يجمع بين الأصالة الآسيوية وبين أوربا مع احتفاظه بالتقاليد الشرقية، والإلمام باللغة التركية، والثاني: كان متأثراً تماماً بتقاليد أوربا والفكر الحر، وفي بداية القرن التاسع عشر كان معظم الأرمن في مصر ينتمون إلى الفريق الأول ولهذا كان لهم أبلغ الأثر على الحياة الثقافية والاقتصادية في مصر حيث رشحتهم مؤهلاتهم هذه إلى الانتقال من مجرد القيام بدور الوكلاء التجاريين للقناصل في كثير من أقاليم مصر إلى الترشيح للقيام بدور هام في مجال نقل المؤثرات الأوربية إلى المجتمع المصري وبالتالي الاقتراب من مركز الحكم في البلاد.

كما امتازت طائفة الأرمن في مصر عن مثيلاتها بالاندماج بين طوائف الشعب المصري، والإجادة – بطلاقة- للغة التركية واللغة العربية، والانجليزية والفرنسية إلى جانب لغتهم الأصلية وهي (الأرمنية) وهو الأمر الذي أهلهم للوظائف الكبرى في الخارجية والتجارة، والموانئ، حتى استطاعوا السيطرة على عصب الحياة الاقتصادية والشئون الخارجية،[2] كما كانت مشاركاتهم في الأحزاب السياسية في مصر حيث انقسموا في القاهرة إلى تيارين حزبيين أولهما وأقواهما: حزب « الراجفار» وثانيهما، حزب «الطشناق» وهذا الأخير أعضاء إدارته هم مؤسسو الدولة الأرمنية الأولى سنة ١٩١٨م، ولما جاء الجيش الروسي الأحمر تحالف مع الأرمن الشيوعيين، فاستطاعوا إسقاط حزب «الطشناق» فما كان من الأرمن في المهجر إلا تأسيس حزب « الراجفار» وهو حزب ليبرالي تنتمي له معظم الطبقات الرأسمالية الأرمنية سواء داخل أرمينيا أو خارجها.

ومن هنا كانت الصراعات الحزبية للأرمن في القاهرة صراعات دفينة لكنهم قد

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة بدون تاريخ ج٤/ ٢٨٤.
(٢) الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر ص ١٣٤-١٣٨.

امتازوا بحرصهم على أن تظل صورتهم وضيئة، فعمدوا فعلاً إلى تخفيف حدة الاختلاف في الرأي ووجهات النظر السياسية منذ أوائل الستينات فبعد ثورة يوليو تقلص انخراط الأرمن بين طبقات المصريين المختلفة، وكان التزامهم بالصمت التام بارزاً، حتى صحفهم لم تعد تناقش قضاياهم الحيوية إذ اختاروا بعد الثورة ألا يتكلموا في السياسة الأرمنية أو المصرية.

إلا أن مواقفهم هذه قد اختلفت فترة حكم الرئيس محمد حسني مبارك حيث خرجوا من عزلتهم، وبدأت صحفهم تتكلم عن مشاكلهم الحزبية ومعاناتهم في المهجر.[1]

المبحث الثاني

أشهر الشخصيات الأرمنية السياسية في التاريخ المصري الحديث

إن حصر الشخصيات الأرمنية التي كان لها تأثيرها في الحياة المصرية بعامة والسياسية والتاريخية بخاصة، ليس إليه من سبيل نظراً لعمق تأثيرها، واتساع دوائرها، وقد اختصت بها كتب الإعلام والشخصيات التي أثرت في الحياة المصرية، كما أن الإطالة هنا تخرج ببحثنا إلى ميدان آخر، لذلك نوجز القول في بعض الشخصيات التي جسدت طبيعة الأرمن، وتركت أبلغ الأثر ومنها:

١) بوغوص بك يوسفيان (١٧٦٨-١٨٤٤)

وتعتبر هذه الشخصية نافذة مصر على أوربا في فترة مبكرة من القرن التاسع عشر وأداة من أدوات التقارب بين مصر وأوربا، وذلك لما له من حظوة متفردة وقوة تأثير نافذة إلى شخص محمد علي، وإخضاعه – بذكاء – لقبول الثقافة الأوربية.

كما كان بوغوص سكرتيراً خاصاً لمحمد علي، ثم مديراً لنظارة المالية (١٨٢٣) وكان يمثل الجيل الأرمني الذي استطاع أن يربط بين الثقافة الأوربية والثقافة المصرية ولذلك تجمع كتابات الأوربيين المعاصرين لبوغوص على أنه كان يتميز بالمرونة والحنكة والدقة، وكان يلجأ للتوفيق بين الطرفين.[2]

---

(١) انظر الأرمن في مصر مقال منشور في مجلة صباح الخير الصادرة بتاريخ ٨ يونية ٢٠٠٤ بالقاهرة ص ٣٠.

(٢) دور الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر (محاضرة ألقاها/ باسكال كارمون في المعهد الفرنسي بالقاهرة في جريدة هوسابير الأرمنية في ١٠/ ٢/ ١٩٩٢م ، تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٥، الأقليات العرقية في مصر مرجع سابق ص ١٣٩، الملحق الشهري العربي لجريدة «أريف» عدد ٨ (٣٢) ٢٠٠٠ص ١٠-١١.

٢) أرتين بك تشراكيان (١٨٠٠-١٨٥٩).

وهو الشخصية الثانية التي كان لها وجود مؤثر في الحياة المصرية والرجل الثاني لمحمد علي بعد بوغوص يوسفيان وكان أحد الأعضاء المبرزين في المجلس الاستشاري الذي كوّنه محمد علي، وقد تولى نظارتي الخارجية والتجارة، وهو الذي شكل أول لجنة للتعليم تحولت في عام ١٨٣٦ إلى نظارة التعليم (١)، كما يمثل جناح المثقفين الأرمن الذين درسوا في فرنسا وهو أرمني كاثوليكي قام بدور كبير في ترجمة عدد كبير من الكتب من الفرنسية إلى التركية، حيث كان سكرتير أول وترجماناً لمحمد علي قبل تولي منصب وزير التجارة والخارجية بالإضافة إلى أنه كان يجيد اللغات التركية والفرنسية والإيطالية والانجليزية كما كان هو وأخوه « خسروا تشراكيان» يمثلان قطبا الخارجية المصرية بعد بوغوص(٢) وثالثهما.

٣) أراكيل نوبار (١٨٢٦- ١٨٥٩)

وهو من أشهر الشخصيات الأرمنية التي أدارت دفة الخارجية المصرية، وبلغت الذروة في عهد محمد علي (٣) ونوبار كان أول مسيحي يحصل على لقب (باشا) ولعب دوراً مهماً في الحياة السياسية في مصر في الفترة من (١٨٧٨ وحتى ١٨٩٥) وكان أول مسيحي يرأس الحكومة المصرية ٤ مرات، كما سبق وأن تولى نظارة الخارجية من قبل ٤مرات، وكان له دور بارز في تطور الحياة القضائية، وتحسين أحوال الفلاحين(٤) وغدا نوبار من أغنى وأبرز الشخصيات الأرمنية في مصر فقد بلغت ثروته ٩٠٠ألف جنيه عام ١٨٩٩ وأرضا زادت مساحتها على مساحة القاهرة القديمة(٥)

وبالجملة فإن الشخصيات الهامة والبارزة من الأرمن الذين تزايدت أعدادهم في مصر استطاعت أن تحقق لأبناء الطائفة حياة رغيدة، وثروات طائلة ملكوا بها اقتصاد

---

(١) تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٥،

(٢)الأقليات العرقية في مصر ص ١٤٤

(٣) محاضرة باسكال كارموني مرجع سابق - مجلة الموسايير عدد ١١/ ٢/ ١٩٩٢م

(٤) تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٥-١٠٦، الأهرام عدد ٣٤٩٥٨/ سنة ٢٠٠٧، الأقليات العرقية مرجع سابق ص ١٥١، الملحق الشهري لجريدة (أريف) العدد ٨ ص ١٠-١١.

(٥) الأرمن في مصر مقال منشور بمجلة صباح الخير الصادرة بتاريخ ٨ يونية ٢٠٠٤ القاهرة ص ٣٩.

مصر، وبرز أثرها في المجتمع المصري.

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية والثقافية للأرمن في مصر. وتحته أربعة مطالب.

المطلب الأول

اماكنهم في مصر.

جاء الأرمن إلى مصر يحدوهم الأمل إلى تحقيق عيش آمن، وإحراز ثروة، ومكانة اجتماعية، وتحقيق الطموحات يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد والوسع والتماس مورد الرزق والكسب، وهو ما دفع الأرمن إلى الانتشار والتنقل بين وديان مصر، وأقاليمها فيشير الجبرتي في أكثر من موضع إلى أن الأرمن قد انتشروا بصورة ملحوظة في أحياء مصر القديمة،[1] ثم انتقلوا إلى بعض الأحياء والأماكن الجديدة وأهمها حي شبرا الذي يتجمع فيه قرابة (٢٠٪) من الأرمن الكاثوليك بالقاهرة حتى أنشئوا كنيسة خاصة بهم في ذات الحي من ٢١/ نوفمبر ١٨٨٦ وكذلك في العباسية وقد ضم (٧٪) من أجمالي أعداد الأرمن، وكذلك يحوي حي الفحالة (١٠٪) ودرب الجنينة (٧٪)، وبين الصورين، وباب الشعرية، ودرب المصطفى وشارع محمد علي والموسكي، والأزبكية، وبولاق [2] وغيرها، ومن الأحياء التي ضمت أرمن القاهرة.

أما أرمن الإسكندرية فقد تمركزوا في حي أبي الدرداء والمناطق المحيطة به حتى بنو كنيسة، ومدرسة فيه، وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأوا في الخروج من هذا الحي إلى نواحي الإسكندرية المختلفة، وعلى أرضها بنو كنيسة القديس بوغوص بيدروس ومدرسة بوغوصيان[3]. كما انتشرت أعداد قليلة أخرى من الأرمن في المدن الساحلية كدمياط والسويس نظراً لحاجتهم إليها في مجال التجارة الخارجية عبر الموانئ. كما سكن

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ٤ صفحات ٢٢٥، ٤٤٨، ٤٤٩.

(٢) تاريخ الجالية الأرمنية في مصر ص ٨٧

(٣) الأقليات العرقية في مصر ص ١٥٢

بعض الأرمن مدناً إقليمية أخرى كالزقازيق، والمنصورة، وطنطا وكفر الزيات، وأسيوط وغيرها وتتقدم الزقازيق تلك المدن أهمية للأرمن حيث ابتنوا فيها مصانع خاصة لهم وهو ما نتج عنه بناء كنيسة، ومقابر خاصة بهم عام ١٨٩٨م بناحية كفر النحال(١)

المطلب الثاني

أعمالهم ودورهم في الحياة الاجتماعية

سبقت الإشارة إلى أن الأرمن – من خلال أبرز شخصياتهم – قد حققوا ثروات طائلة، وعيشاً رغيداً وهنا نقول إنهم حققوا ذلك من خلال تنقلهم في وطنهم الآمن، وتغلغلهم في شتى ميادين الحياة فاقتحموا كل الأعمال والحرف – كما كان دأبهم وديدنهم في الدولة العثمانية قبل نزوحهم إلى مصر – حتى تبوءوا أرقى المناصب وأعلاها – وقد بينا ذلك في دورهم في الحياة السياسية – وكذلك برزوا في التجارة، والزراعة، والصناعات المختلفة كالنسيج والحرير والصوف وغيرها من الحرف. كما برز أثر طائفة الأرمن في التغيير النمطي لواقع الحياة فعلى سبيل المثال:-

- نجد أن الأرمني (يوسف أفندي) هو الذي أدخل إلى مصر فاكهة (اليوسفي) حتى سميت باسمه، كما أدخل إلى مصر التبغ، وصناعة السجائر عام ١٨٩٥، ويعقوب أرتين باشا – وهو من أشهر الشخصيات الأرمنية وأبعدها أثراً في حياة الطائفة الأرمنية حتى لقب (بالأستاذ الكبير) لما له من دور بارز في إصلاح أوضاع التعليم في مصر في الفترة من ١٨٧٣ – ١٩٠٤م.

- ويوسفيني بيه الذي أسس أول مدرسة بمنطقة القلعة لتعليم أبناء الأسرة الحاكمة، وأبناء كبار المسئولين في عهد محمد علي.(٢)

- يضاف إلى ذلك ما سبق من مشاركاتهم الفاعلة في ميادين الإصلاحات التي قام بها محمد علي لبناء مصر الحديثة، وعلى أيديهم قامت تلك النجاحات (٣).في مجال الخارجية

---

(١) تاريخ الجالية الأرمنية ص٨٨.

(٢) أنا في الأصل أرميني: مقال بجريدة الأهرام مرجع سابق.

(٣) الأقليات العرقية في مصر ص ١٣٦.

وإقامة جسور التلاقي بين مصر والغرب والترجمة والموانئ البحرية [1] والصرافة والضرائب ومصلحة صك النقود[2]، كما برع الأرمن في ميادين أخرى على أيدي الصفوة الأرمنية التي كانت ضمن البعثات العليمة التي أرسلها محمد علي إلى أوربا فمن تلاميذها أرتين خشادور، واصطفان خشادور في مجال فنون الحرب، واصطفان بك وأوهانا فندي اصطفان، ويوسف أفندي أصطفان في مجال القانون والسياسة، وبترويوسف أفندي في مجال الطب والصيدلة، ويوسف أفندي في مجال الزراعة والكيمياء، والطبيعة[3] وغيرها. كما عملوا في الحرف المختلفة كالحدادة، والبناء، وكان منهم الصرماتية، والترزية والمهندسون والمعماريون. حتى حققوا بأعمالهم التجارية، والمالية ثروات ضخمة، وتملكوا الأطيان الزراعية والعقارات.[4]

فكان منهم كبار ملاك الأراضي العشورية أمثال (خسروا بك) الذي ملك ٩٠٠ فدان من أطيان البحيرة، و(يعقوب ألكسان) الذي تملك كثيراً من أراضي الجيزة (١١٢) فداناً وغيرهم من عائلات الأرمن الذين ملكوا أطياناً في محافظات عديدة كالنوفية والقليوبية والبحيرة وغيرها.[5]

وبالجملة نستطيع القول إن هذه المكانة المرموقة والثروات الطائلة لا شك أنها كانت المحرك الأول للجانب الديني والعقدي للأرمن في مصر – كما سيظهر في حينه-.

إن النظر المتأمل في تاريخهم، والوقوف على مشاركاتهم في المجتمع المصري يشير إلى أن الطائفة قد تعلقت بمصر تعلق الولد بأمه « فالأسر الأرمنية العديدة في مصر كونت تقاليد، وعادات تداخلت في نسيجها الاجتماعي بحيث يصعب التخلي عنها، كما ربطت بين الأرمن في أرجاء مصر حول الكنيسة، والمؤسسات التعليمية، والخيرية التي كانت تزداد قوة يوماً بعد يوم بفضل الرعاية التي كانت توليها مصر لكل الأقليات، ولم يعد

---

(١) الأقليات العرقية : ص ١٣٨-١٣٩.
(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٤١-١٤٢.
(٣) المصدر نفسه ص ١٤٤،
(٤) المصدر نفسه ص ١٤٥.
(٥) المصدر نفسه ص ١٥١-١٥٢، وانظر النشاط الاقتصادي والمالي والتجاري للأرمن في مصر د/ محمد رفعت الجالية الأرمنية في مصر من ص ١٠٥-١٤٠.

الأرمن يروا غير مصر بلداً لهم، وأصبح تعلقهم باستانبول أضعف من ذي قبل، وتنازعهم عالمان. الأول: العالم الذي ارتبطوا به، واختلطوا بعاداته وتقاليده واستقرت مصالحهم فيه، وكونوا اتجاهه مشاعر وطنية، والعالم الثاني/ وطنهم الأصلي الذي ظلوا إليه يهفون (أرمينيا). لكن كان من العسير أن يحققوا فيه ما حققوه في مصر فأعطوا ولاءهم لها[1]

فمنذ أكثر من ثلاثمائة عام يعتبر المصريون (الجالية الأرمنية) مصريين أكثر من المصريين والأرمني حتى اليوم يغضب لو سألته عن جنسيته، فهو مصري، ويعتبر نفسه مصرياً، ويود أن يعتبره الآخرون كذلك، ورغم مصريتهم الشديدة إلا أن المنافسات السياسية في بلادهم ما زالت تطغى عليهم، وتؤرقهم، وتحاصرهم في القاهرة ويبدوا أن كل هذه السنوات التي مرت على الأرمن في مصر جعلت منهم نسيجاً فريداً من الشخصيات، أرمنية الملامح، مصرية السلوك[2]، حتى إنهم شاركوا في المظاهرات والاضطرابات العامة التي عمت القطر المصري، كما كانوا ضمن قطاعات الشعب المصري الذي طالب بإجلاء الانجليز عن مصر، والوحدة مع السودان، وذلك في يوليه عام ١٩٧٤م عندما انخرطوا في جموع المصريين حاملين لافتات مكتوب عليها « نتمنى النجاح والتقدم للقضية المصرية»[3]

وتشهد اللقاءات الفكرية والثقافية بين مفكري الأرمن ومصر بعمق العلاقة ومتانة الروابط الإنسانية بين المصريين والأرمن فعلى هامش لقاء ثقافي في دار السفارة الأرمنية بالقاهرة جمع بين بعض الشعراء المصريين والسفير الأرمني الدكتور/ إدوارد نالبانديان ألقى السفير كلمة باللغة العربية أشاد فيها بحسن العلاقات المصرية الأرمنية في مختلف النواحي، وأعرب عن أن مصر كانت أول دولة عربية وإفريقية أقامت معها أرمينية علاقات دبلوماسية في أعقاب حصولها على الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي، كما عرض لتاريخ الأرمن في مصر منذ أقدم العصور حتى الآن مؤكداً فيها على حسن معاملة

---

(١) الأقليات العرقية في مصر ص ١٦٣.
(٢) الأرمن في مصر مجلة صباح الخير مرجع سابق ص٢٨
(٣) جريدة « أريف » الملحق الشهري العدد السابع يولية ١٩٩٨م ص ١٨.

الحكومات المصرية المتعاقبة حتى الآن لأبناء الجالية الأرمنية في مصر.

وعقّب الشاعر المصري الكبير/ فاروق شوشة قائلاً: إن هذا اللقاء الثقافي الشعري إنما هو دليل واضح على متانة الروابط الإنسانية بين المصريين والأرمن[1]

وتؤكد البروتوكولات الاقتصادية بين مصر وأرمينيا على تلك الصداقة الثابتة، لا سيما وأن مصر هي أول دولة عربية تفتح سفارة لها في أرمينيا[2].

في هذه الأجواء النقية انطلق الأرمن نحو التكوين والبناء لطائفة كانت – ولا تزال – لها كيانها ومناطق نفوذها، وأعمالها ونشاطاتها التي تركت آثارا عميقة في المجتمع المصري.

المطلب الثالث

المدارس الأرمنية في مصر

كانت اتجاهات المثقفين الأرمن إلى العناية بالتعليم، وربط أبناء الجالية بأصالتهم الأرمنية أمراً بارزاً، ولعل ما قام به يعقوب أرتين، وأرتين بك تشراكيان، وغيرهما من جهود غدت رائدة في العملية التعليمية للأرمن في مصر على وجه الخصوص وللتعليم المصري على العموم لدى الأرمن في مصر هو الشعور المستكن في أعماقهم بأنهم أقلية، ولابد من تربية الأجيال الناشئة في مجتمع هم فيه غرباء على الترابط والتوائم، وغرس الوطن الأم في أعماقهم تحسباً لأي ظروف تحملها الأيام المقبلة.

من هنا تضافرت جهود الأرمن – على اختلاف مواقعهم – الأغنياء منهم والقابعون على أرقى المناصب والوظائف في بناء المدارس والعمل على إمدادها بوسائل التعليم من الكتب والأدوات والمدرسين والإداريين ليصفوا الجو أمام أبناء الجالية حتى لا يذوبوا في المجتمع المصري، وليظلوا على ثقافتهم، وديانتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم الأرمنية، فأنشأت المدارس، وتناثرت أعدادها في جنبات مصر ومن أشهرها:

- مدرسة « يغيازيان» وهي تخليد لذكرى « يغيازار أمير أبدروسيان – كبير صيارفة محمد علي، وهو الذي تبرع بجمع نفقاتها، وكانت بجوار كنيسة القديس « سركيس» في

(١) أمسية على مائدة الشعر الأرمني: الملحق الشهري العربي بجريدة (أريف) العدد السابع ص ٨-٩.
(٢) العلاقات العربية الأرمنية صداقة ثابتة في جوار متوتر بقلم / شريف حكمت مرجع سابق.

حارة زويلة بالقاهرة.

- كما شيدت مدرسة أخرى بجوار كنيسة العذراء في درب الجنينة باسم « خور ينيان» نسبة إلى مؤرخ الأرمن العظيم « موفيس خوريناتسي» ثم نقلت هذه المدرسة إلى بولاق تحت اسم « كالو سديان» نسبة إلى التاجر « جرابيد كالوسديان» الذي أوقف معظم ثروته لخدمة التعليم.(١)

- وفي الإسكندرية شيدت مدرسة « أراميان» الواقعة في حي معطرق « ميدان كانتو» وذلك في أربعينيات القرن التاسع عشر ثم انتقلت إلى شارع أبي الدرداء وهي تحمل اسم « بوغو صيان» نسبة إلى « بوغوص بك يوسفيان»(٢) سالف الذكر.

وبالجملة فقد تعددت المدارس الأرمنية بمصر، وكانت تهتم باللغات الأرمنية والفرنسية والعربية وكان جميع المديرين والمدرسين من الأرمن الوافدين للعمل بمصر من الأستانة وأزمير وأرضروم باستثناء مدرسي اللغة العربية الذين كانوا من المصريين من خريجي الأزهر الشريف، وكانت تلك المدارس تعتمد ميزانياتها على الأوقاف التي يتركها أثرياء الأرمن من أجل المشروعات الخيرية، وعلى إيرادات الحفلات وبيع المشغولات اليدوية التي تصنعها الفتيات، وعلى التبرعات.(٣)

كما كانت مقررات الدراسة بتلك المدارس تهدف إلى الحفاظ على لغة الأرمن، وعاداتهم، وتقاليدهم، وثقافتهم، خشية ذوبانهم في المجتمع المصري.(٤)

المطلب الرابع
صحافة الأرمن في مصر

تعد الصحافة النزيهة المعبرة عن الحقائق، البعيدة عن التمويه، والافتراء، وادعاء الأباطيل في كل أمة هي اللسان المعبر عن آلامها وأمالها، والسيف المسلول في وجه

---

(١) تاريخ الجالية الأرمنية في مصر ص ٣١٧

(٢) المصدر نفسه ص ٣١٨

(٣) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين تأليف/ جرجس سلامة ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ١٩٦٣ ص ٨٣ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه ص ٨٤

الطغيان، ولا شك أن الأرمن كطائفة كانت تعيش في وطن الغربة، والهجرة خارج أوطانها، وكانت في حاجة ماسة إلى التعبير عن إحساسها بمرارة الاغتراب والحنين إلى الوطن فوجدت في الصحافة متنفسها وفي القلم المدافع المخلص عن قضيتها.

فأسهم الأرمن في إصدار الصحف والمجلات والجرائد في مصر بلغات مختلفة وقد ارتبط ظهور الصحافة الأرمنية في مصر بتأسيس المجلس الملي الأرمني عام ١٨٦٤ الذي اتفق أعضاؤه خلال مداولاتهم على إصدار صحيفة باللغتين الأرمنية، والتركية من أجل تنوير الأرمن، وقد أعان هذا القرار مؤازرة « مجرديتش كيفسيزيان» راعي أرمن مصر المستنير والمولع بالصحافة –في ذلك الوقت –وكذلك « نوبار باشا» أبرز شخصيات الأرمن تأثيراً في السياسة والخارجية – كما علمنا – فصدرت في ١٦ مارس ١٨٦٥ صحيفة « آرمافيني» (النخلة) باكورة الصحافة الأرمنية في مصر، وكان رئيس تحريرها الصحفي (آبراهام مراديان) الملقب « بأبي الصحافة الأرمنية في مصر» ثم توالى إصدار الصحف وتناثرت المجلات والجرائد الأرمنية في مصر المحروسة[1]وخاصة في الإسكندرية والقاهرة وهما أكثر المناطق التي تجمع فيها الأرمن في مصر وكانت الصحف الأرمنية هي أقدم صحافة أجنبية في مصر، وعن أهم تلك الصحف يقول « أوهانيس » «درويدروسيان» رئيس تحرير مجلة « أريف» الأرمنية: إن للأرمن ثلاثة صحف في القاهرة، وثلاث صحف فقط بعد تاريخ طويل من الصحافة الأرمنية في مصر ففي عام ١٨٦٥ أغلقت جريدة أرمنية أبوابها لتصدر ثلاث صحف أرمنية في القاهرة ابتداءً من عام ١٩١٥م، وقد صدرت مجلة « أريف» باللغة الأرمنية في نفس العام، و« أريف» كلمة تعني الشمس، وقد التف حولها طائفة من مشاهير الكتاب للتعبير عن آمال الأرمن، ودفع معنوياتهم إثر المذابح التي تعرضوا لها. كما صدرت مجلة « هوسابير» ومجلة « شاهجير» عام ١٩٤٥م حتى توقفت عام ١٩٩٢.[2]

وبالجملة فإن الصحافة الأرمنية كان لها أثر بالغ في حياة الأرمن أنفسهم، حيث

---

(١) تاريخ الجالية الأرمنية ص ٣٢٤.

(٢) الأرمن في مصر تحقيق صحفي لوليد طوغان في مجلة صباح الخير مرجع سابق.

عبرت عن مآسيهم، وآلامهم، وقضاياهم في المهجر، كما أسهمت في الحياة المصرية بشكل عام فدافعت عن حقوق المصريين في التحرر من الاستعمار، بل وقف بعضها بجوار الاحتلال البريطاني وروجت للمشروعات الاستعمارية المتباينة.[1]

وهكذا كانت الصورة العامة التي برزت فيها الشخصية الأرمنية في المجتمع المصري وكانت ضمن تركيبه السياسية والاجتماعية فأحدثت أثراً في حركة الحياة في مصر، كما تأثرت كذلك بالحياة المصرية فكانت الشخصية الأرمنية أرمنية الملامح، مصرية السلوك والعادات والتقاليد.

فماذا عن الجانب الديني والفكري في حياة الطائفة الأرمنية في مصر؟؟

---

(١) تاريخ الجالية الأرمنية. ص ٣٣٧.




الفصل الثالث

الأرمن عقيدةً ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الديانة الأرمنية

المبحث الثاني: الكنيسة الأرمنية ودورها في حياة الأرمن في مصر.

المبحث الثالث: فرق ومذاهب الأرمن في مصر.

المبحث الرابع: الاختلافات العقدية بين المذاهب الأرمنية.




المبحث الأول

الديانة الأرمنية

قلنا إن أرمينيا قد تعاقب عليها الغزاة والمستعمرون، وطبعي أن يتأثر المستعمَر بالمستعمِر، وهكذا كان شأن الأرمن حيث تأثروا بديانات الدول التي حكمت بلادهم من الفرس والإغريق، وقد تركت هذه الدول بصماتها الدينية على المعتقدات الروحية للأمة الأرمنية، فكانت الوثنية بأشكالها هي الدين السائد قبل المسيحية حيث عبدت آلهة شتى كالإله « أهورامزدا» أبي الآلهة وخالق كل شيء « وفاندور» إله الثمر، والفيض، والبركات، كما عبدوا الإله « ميثرا» إله الشمس والنور عند الفرس، والإله « مهر» وقد سماه الأرمن « ميهر» وكذلك عبدوا « درى» إله العلم والفراسة، كما عبدوا آلهة أخرى تقابل الآلهة اليونانية وإن ظهرت وفق أشكال أرمنية محلية.[1]

فلما ظهرت الديانة المسيحية صار لها أتباع وأنصار من الأرمن، ومن هنا يذهب الباحثون إلى أن أرمينيا هي من أقدم البلاد التي اعتنقت المسيحية واتخذتها ديناً رسمياً لها، وذلك في حوالي سنة ٣١٠م على الأرجح عندما اعتنقها الملك « ديرتاد» أو « درطاد» الثالث (٢٨٦-٣٣٠) وجعلها دين الدولة الرسمي وذلك على أيدي القديس « غريغور» أو « كريكور بن أناك» المعروف بالمنور وكانت أرمينيا هي أول بلد في العالم تعتبر الديانة المسيحية هي الدين الرسمي فهي أسبق في اعتناقها للمسيحية من الإمبراطورية الرومانية ذاتها، حيث لم تصبح المسيحية ديانة رسمية لها إلا في عام ٣٨١م إبان عصر الإمبراطور « ثيودوسيوس الأول»[2]، وقد أصبح « كريكور» الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمينية برتبة « جاثليق»

(١) انظر الأرمن في (الموسوعة العربية) تأليف هيئة الموسوعة العربية العامة ط دار الفكر، دمشق ج١ ص١١.

(٢) المسيحية عبر العصور تأليف/ إيرل كيرنز ط دار نوبار للطباعة القاهرة سنة ١٩٩٢م ص ١٤١ وما بعدها، دين الأرمن – الدين والقومية: مقال ضمن مجلة « الشبكة العراقية» مجلة أسبوعية عامة تصدر على شبكة الانترنت العدد بتاريخ ١٠/١٢/٢٠٠٦.

العقيدة المسيحية وتعاليمها:

انبثقت المسيحية من الديانة اليهودية وأخذت الكثير من المعالم اليهودية كوجود إله خالق واحد، والإيمان بأن المسيح ابن الله الحي (كلمة الله)، والصلاة، والقراءة من كتاب مقدّس. ولعل محور العقيدة المسيحية يتمثل بالمسيح وعمله الكامل على الصليب لفداء المؤمنين. لا يوجد في المسيحية جنة أو جنات فنصيب المؤمن في عصر الكنيسة هو أنه سيكون مع المسيح في بيت الآب إلى الأبد.

المفاهيم الرئيسية والخطوط العريضة للعقيدة المسيحية تستعرض التجسّد الإلهي في المسيح، وصلب المسيح الذي أدّى إلى موته فدية عن المؤمنين ولرفع خطية العالم، وقيامته المجيدة فتعطي الإنسان الخاطئ فرصة للنجاة من جهنم، ونوال الحياة الأبدية لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ بتلك المفاهيم، يؤمن المسيحيون أن هذه هي الطريقة التي رتبها الله على الأرض ليتصالح البشر معه. وتعلم المسيحية أن الله أحب العالم وبذل ابنه (وليس ولده) الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل ينال الحياة الأبدية فبهذا الطريق فقط يمكن للإنسان أن ينال الحياة الأبدية وغفران الخطايا فالمسيحية ليست دين مثل باقي الديانات التي تقوم عقيدتها على وجوب العمل الفردي من عبادات وطاعات للفوز بجنّات النعيم. ففي المسيحية الله هو المبادر وهو الذي يعطي الخلاص مجاناً لمن يتوب ويطلب الغفران على أساس موت وقيامة المسيح.

وتتفق طوائف المسيحية رغم تعددها - (وفى مقدمتها طائفة الأرمن)- على عقيدة واحدة تحتوي على النقاط الرئيسية التالية:

- الثالوث: إله واحد يتمثل في ٣ اقانيم أو كينونات في ذات الله العجيبة بحيث لا يعتبرونها مسألة جمع ك ١+١+١=٣ كما في الرياضيات بل مسألة ضرب ١*١*١=١ إذا استعرنا مثال من الرياضيات كذلك، الأب، الابن، والروح القدس[[[[[[[[.وتعد من اسرار كشفها الله لهم وتقبل بالإيمان لأنها تسموا فوق العقل وإن كانت لا تناقضه فكيف يقدر المخلوق أن يدرك ذات الخالق؟؟. فالمسيحية تعلم لا أحد يعرف حقيقة من هو الله

إلا من أراد الله أن يعلن له، يؤمن المسيحيون بوجد الله الآني في كلّ مكان وزمان فهو دائم الوجود وكليّ الوجود منذ الأزل وإلى الأبد قادر على كلّ شيء لا يقدر أن ينكر نفسه.

- يعتبرون أن المسيح هو كلمة الله الموجود مع الآب منذ الأزل بل هو الله الذي ظهر في الجسد. تجسد من مريم العذراء المباركة بشراً فظهر عبداً يأكل، ويشرب، وينام ،ويتألم ليقدر أن يموت عن الخطاة بجسده، فهو ليس ميخائيل وهو ليس بشرا فقط من نسل آدم، ولكنه(الله المتجسد) بشراً، ولذلك أطلق الكتاب عليه اسم (ابن الله) و(ابن الإنسان)، فهو الإله الكامل، والإنسان الكامل.

- مريم العذراء ولدت المسيح، وأخذ منها إنسانيته، فتمم النبوة القديمة، انه هو نسل المرأة فولد من عذراء بقوة روح الله بدون أي زواج لا من الله ولا من بشر، فلا يؤمن المسيحيون أن المسيح هو ولد الله فهذا يعتبر إثم عظيم ،ولكنهم يؤمنون بان العذراء حبلت به عندما حلّ الروح القدس عليها.

- يسوع هو المسيح الذي انتظره اليهود، ووريث عرش داود، وسيملك على بيت داود إلى الأبد. و الخلاص ليس لكل الناس ولا لكل البشرية بل لمن يؤمن فقط ، وأن له معجزات هي:

    - إقامة الأموات.
    - تفتيح أعين العمى.
    - تطهير البرص.
    - تسكين البحر.
    - إطعام الألوف.

- يؤمنون أن المسيح سيأتي ثانيةً على السحاب ليختطف الكنيسة (جماعة المؤمنين) ليكونوا معهُ كل حين في السماء.

- يؤمنون أنة لا يوجد جنة أو جنات فنصيب المؤمن في عصر الكنيسة هو أنه سيكون مع المسيح في بيت الآب إلى الأبد

• يسوع المسيح نقي من الخطايا فهو لم يخطئ، وليس فيه غش، وبموته وقيامته، تصالح الله مع البشر التائبين فقط فمحي خطايا من يؤمنوا بالمسيح المصلوب، ويتوبوا عن خطاياهم، وينالوا بدمه غفران الخطايا، وكلّ من يرفض محبة الله يقع تحت دينونة الله العادلة

الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ فالخلاص ليس لكل الناس ولا لكل البشرية بل لمن يؤمن.

. تعلم المسيحية أن الله أحب العالم لأنه إله المحبة ،وبذل ابنه (وليس ولده) الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل ينال الحياة الأبدية ، وأن هذه هي الطريقة التي رتبها الله على الأرض ليتصالح البشر معه لأنه إله قدوس وعادل.

الكتاب المقدس لدي المسيحيين:

. يؤمن المسيحيون الغربيون أن الإنجيل كلام الله، وكذلك المسيحيون الشرقيون، وبذلك يتّفق كل من الشرق والغرب المسيحي بقدسية الإنجيل ،و ينقسم الكتاب المقدس (لدي المسيحيين) الي:

• العهد القديم (التوراة)التي تختلف قليلا عن التوراة لدي اليهود حيث يرفض المسيحيون بعض الأسفار لدي اليهود علي أساس أنها مضافة، ويروا في العهد القديم النبوات التي أنبأت عن حياة و موت وقيامة المسيح، ورجوع الملك، ودينونة العالم

• العهد الجديد و يتكون من ٤ أناجيل هي:

  - إنجيل متي.
  - إنجيل مرقس.
  - إنجيل لوقا.
  - إنجيل يوحنا.
  - مجموعة من الرسائل و الكتابات الأخري.

إشترك في كتابة العهد الجديد عدد كبير من الكتاب يربو علي الأربعين كاتبا.و يرى

كمايؤمن المسيحيون أن الله حفظ كلمته إلى الآن، وسيحفظها إلى الأبد بناءً على وعوده في كتبه بواسطة أنبيائه.

يرفض المسيحيون القران(الكتاب المقدس لدي المسلمين) تماما.[1]

الأسرار الكنسية[2] ومكانتها العقدية:

يعتقد الأرمن الكاثوليك بما يسمى بالأسرار الكنسية وهى فى جملتها تمثل_بالإضافة إلى ماسبق_ المكون الاساسى للعقيدة المسيحية، كما أن ممارستها هي التي تخلق المسيحي، وتخلق الكنيسة معا ،وهذه الأسرار قد تواترت.وعليها عماد العبادة فى الديانة المسيحية ،

و المراد بها هي أعمال مقدسة ومنح إلهية بها ينال المرء نعماً غير منظورة تحت مادة منظورة، وعن هذه الأسرار، ومكانتها من العقيدة الأرمنية الكاثوليكية، والمسيحية عموما يحدثنا الاكليريكى جوزيف منير قائلا.

– نحن نعرف الكثير عن الأسرار، وقد نعرف أكثر من اللّزوم... أشياءَ وأشياءَ قد لا تكون هي الجوهريّة، فنحن غارقون في روتينيّة ممارسة الأسرار بحيث لم نعد نطرح أسئلةً، ولذلك يجب أن ننسى ما نعرفه لكي نكتشف من جديد ماهيّة الأسرار ومفعولها في حياتنا، فنحن نحتاج لتجديد نظرتنا الإيمانيّة.

---

(١)انظر للتوسع:
- دائرة المعارف – القاموس العام لكل فن ومطلب، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة بيروت .
- موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة – مطبعة التقدم – القاهرة .
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- دائرة المعارف الإسلامية، إصدار شركة سفير، القاهرة .
- موسوعة المعرفة موسوعة شاملة على شبكة النت.
- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جان بيير، ترجمة د. عبد الحليم محمود.
- الفروق العقدية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد، كنيسة مار جرجس.
- تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضيري، دار الثقافة، القاهرة .
- موسوعة الملل والأديان/ الفصل الرابع عشر/ فرق النصارى / الباب الثالث / النصرانية وما تفرع عنها .

(٢) والأسرار السبعة هي : المعمودية، والميرون(سر الأرواح) بمعنى حلول الروح القدس في الإنسان، والشكر والتوبة والاعتراف ومسحة المرضى، الزيجه، الكهنوت أنظر / المسيحية الأسرار السبعة المقدسة موسوعة ويكيديا على شبكة الانترنت

- يحثُّ المجمع الفاتيكاني الثّاني على التحرر من روتينيّة ممارسة الأسرار، فيؤكد على غاية الأسرار قائلاً: « إنَّ غاية الأسرار هي تقديس البشر وبنيان جسد المسيح وأخيرًا تأدية العبادة لله. ولكن بصفتها علامات، لها أيضًا دورٌ تعليميٌّ. هي لا تفترض الإيمان وحسب، ولكنّها تغذّيه أيضًا بالكلمات والأشياء وتقوّيه وتعبرّ عنه، لهذا سُميت أسرار الإيمان» (دستور في اللّيتورجيا المقدسة، ٥٩).الأسرار علامات عهد بين الله والإنسان، فالمسيح سرّ الآب والكنيسة سرّ المسيح: هذان هما السّرّان الأوّلان للقاء بالله الّذي نعيشه عمليًّا في العماد و الإفخارستيا المصالحة... الخ. وسوف نلقي الضوء على أسرار الكنيسة السّبعة بصورةٍ وجيزة:

١- سر المعموديّة

كلمة « العماد» توحي بفكرة البَدء أو التنشئة، فالعماد هو باب الدّخول في الكنيسة، باب الخلاص، باب سائر الأسرار.

« هناك جسد المسيح الواحد – الكنيسة – وروحٌ واحدٌ ورجاءٌ واحدٌ للجميع وربٌّ واحدٌ وإيمانٌ واحدٌ ومعموديّةٌ واحدةٌ» (أف٤:٤)، معمودية واحدة لها ثلاث صيغ:

- معموديّة الدّم: أي الاستشهاد، وهذا ما عاشه المسيح في آلامه « عليّ أن أقبل معمودية الآلام وما أضيق صدري حتى تتمّ» (لو١٢: ٥٠)

- معموديّة الشّوق: هو عماد الرّوح وحده الّذي يهبُّ حيث يشاء، ويُوحي لكلِّ أحدٍ بدءِ إرادة طيبة، وهذا العماد لا يتطلب أيّة معرفة واضحة بيسوع المسيح أو بالكنيسى

- معموديّة الماء: وهو العماد الطقسيّ الرّسمي.

- من خصائص العماد المسيحيّ:

- ✍ التوبة في يسوع بحياةٍ جديدةٍ (رو٦: ١-١٤).
- ✍ دعوة اسم يسوع.
- ✍ يتم العماد بالرّوح القدس (عطية المسيح المائت والقائم من الموت).
- ✍ ينضم المعمّد للشّعب الجديد الّذي بدأ يوم العنصرة.

- «... والآن، يارب، أنظر بحبٍّ إلى كنيستك وفجّر فيها نبع العماد. وبهذه المياه، فليعطِ الرّوح القدس نعمة المسيح لكي يغتسل الإنسان... من الأدناس... وليُولد من الماء والرّوح لحياة أبناء الله الجديدة» (صلاة تبريك ماء العماد).

٢- سرّ التثبيت

س ما معنى سرّ التثبيت؟

ج- التثبيت هو سرّ البالغين، فهو بالنّسبة للعماد كالنّمو بالنّسبة إلى الولادة (القديس توما الأكويني).

- هو سرّ الرّسالة والعمل الكاثوليكيّ، فالمثبّت هو جندي المسيح.
- هو سرّ القوّة والشّجاعة والاستشهاد.
- هو سرّ الرّوح القدس، عنصرة جديدة، فهذا الرّوح يجعلنا نحيا حياة الله.
- هو سرّ الشّراكة الكنسيّة، فحضور الأسقف هو تعبيرٌ عن وحدة جميع المسيحيين.

نجد في صلاة الأسقف عند سرّ التثبيت يقول: « أيّها الإله الكلّي الصلاح، أنظر إلى هؤلاء المعمّدين الّذين نضع عليهم أيدينا: في العماد، حرّرتهم من الخطيئة، وولدتهم من الماء والرّوح، كما وعدتَ، أحلَّ الآن عليهم روحك القدوس، أعطهم ملء الرّوح الّذي حلّ على ابنك يسوع: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوّة، روح المعرفة والمحبّة البنويّة، أملأهم من روح العبادة...».

٣- سرّ الإفخارستيا

• في الإفخارستيا؛ الخبز والخمر المُكرّسان يعنيان فعليًّا جسد المسيح ودمه كينبوع حياةٍ إلهيّ للّذي يأكل ويشرب بإيمانٍ، لأنّهما قبل كلّ شيءٍ مأكل ومشرب. وكما يذكر جون وسلي: « كما أنّه من دون الخبز والخمر أو ما يشبههما، أقوى الأجساد تتلف بعد قليل، كذلك ربّنا يسوع بقوّته ونعمته الدّائمتين والممثلتين في الخبز والخمر يسند هذه الحياة الرّوحيّة الّتي منحنا إيّاها بصليبه.

٤- سرّ الكهنوت

يسوع المسيح هو الكاهن الأعظم، الّذي حقق لنا:

✍ وساطة رسوليّة: حيث أصبح يسوع إنسانًا بتجسده، فأعاد الوحدة بين الله والنّاس.

✍ وساطة رعاية: حيث صار يسوع وسيطًا بين المتخاصمين « أن يجمع إلى واحد أبناء الله المشّتين» (يو١١: ٥٢)

✍ وساطة ذبيحة: عودة يسوع إلى الآب بصحبة البشريّة جمعاء، عبر الصليب والموت والقيامة (ذبيحة يسوع).

تقبل صفتها المسيحيّة إلاّ من المسيح. لا تستطيع أن تتحدّ بالآب إلاّ عن طريق الوسيط (يسوع المسيح). وهكذا ينبغي أن يكون المسيح الرّأس هو ذاته رأس كنيسته. وهو هكذا بواسطة كاهنه.

«... اليوم، يارتُ، أعطنا معاونين نحن بحاجةٍ إليهم لكي يمارسوا الكهنوت لرّسولي. نسألك أيّها الآب القادر على كلّ شيء، أن تعطي عبدك هذا كرامة الكهنوت. أملأه في عمق أعماقه من روح القداسة. وليقبل منك، يا الله، وظيفة معاونة الأسقف، وليحثّ النّاس على قداسة السّيرة بمثله وسلوكه...» (صلاة التكريس).

٥- **سرّ المصالحة في سرّ التوبة:** يستقبل الله الآب ولده التائب العائد إليه، ويحمل المسيح النّعجة الضالة على كتفيه ويعود بها إلى الحظيرة، والرّوح القدس يعيد تقديس هيكل الله ويسكن فيه بغناه.

يدعونا بولُس الرّسول إلى أن نصفح بعضنا لبعض قائلين: « احتملوا بعضكم بعضًا، وليصفح بعضكم عن بعض إذا كانت لأحد شكوى من الآخر. فكما صفح عنكم الرّبٌّ، اصفحوا أنتم أيضًا. والبسوا فوق ذلك كلّه ثوب المحبّة: إنّها رباط الكمال، وليُسد قلوبكم سلامُ المسيح، ذاك السّلام الّذي إليه دُعيتم لتصيروا جسدًا واحدًا، كونوا شاكرين »(كولوسي٣: ١٣-١٥).

عطية المسيح الفصحيّة للكنيسة وللعالم هي مغفرة الخطايا، فيسوع يؤسّس سرّ التوبة وسلطان الحلّ الإلهي، ويؤسّس الكنيسة كمكانٍ وسلطةٍ ووسيلةٍ لمغفرة الخطايا. الاحتفال الجماعي يشدّد على أنّ غفران خطايانا يتضمّن المصالحة مع الكنيسة بكاملها، وعلى أنّ

الكنيسة كلّها تمنح الغفران للتائبين بواسطة خدمة الكهنة.

٦- سرّ مسحة المرضى

كانت كنائس الشّرق القديمة تدعو هذا السّرّ بـ« الزّيت» أو « الزّيت المقدّس» أو «زيت الصلاة» من دون أيّ ذكر للموت. وكنائس الغرب تدعوه بـ« زيت المسحة» أو «المسحة المقدّسة» أو « مسحة المرضى». وقد أعاد المجمع الفاتيكاني الثّاني تسميّة « مسحة المرضى»، وذلك لنعود إلى التقليد ونتوّجه نحو استعمالٍ سليمٍ للسّرّ.

يقول القديس ايزيدورس أسقف إشبيليه: « نزولاً عند أمر الرّبّ، ركّب موسى مسحة من الميرون دهن به هارون وأبناءه، علامةً لكهنوتهم المقدّس. ثمّ مُسح الملوك بالدّهن ذاته، لذلك دُعوا مسحاء. لكنّ مسحة الملوك والكهنة هذه كانت رمزًا للمسيح بعد أن تكرس ربّنا ملكًا وكاهنًا إلى الأبد من قبل أبيه السّماوي بمسحةٍ سرّيّةٍ، عندئذٍ تكرّس، ليس فقط الكهنة والملوك، بل الكنيسة جمعاء، بمسحة الميرون المقدّس لأنّهم جميعهم أصبحوا أعضاء للملك وللكاهن الأبدي. فيما إنّنا ذرّية كهنوتيّة، بعد العماد نُمسح بالميرون ونحمل اسم المسيح».

٧- سرّ الزّواج

ينص المجمع المسكوني الفاتيكاني الثّاني على: « لقد أسّس الخالق وجهّز بشرائع خاصّة تلك الشّركة العميقة في الحبّ والحياة الّتي يؤلّفها الزّوجان. إنّها تقوم على اتّفاق القرينين أي على رضاهما الشّخصيّ الّذي لا يُنقض. إنّها لمؤسّسة تثبتها الشّريعة الإلهيّة وتنبثق، في نظر المجتمع، عن العمل البشري الّذي به يعطي كلٌّ من الزّوجين ذاته للآخر ويقبل الآخر. ولا يخضع هذا الرّباط المقدّس لهوى الإنسان، بغية خير الزّوجين والمجتمع أيضًا».

في سرّ الزّواج؛ الثّالوث يخلق زوجين بشريّن خالقين: منهما ينبثق ثالوث حب – أب وأمّ وطفل – يكشف لنا أنّ الله حبٌّ وحبٌّ خلاّقٌ. والرّبُّ يطلب بواسطة كنيسته أن يعطي الرّجل والمرأة ذاتيهما الواحد للآخر في الحبّ، مدى الحياة، إذ يقبلان هذا الشّرف وهذه النّعمة فيعيشانِ عهد المسيح وكنيسته ويشهدانِ له، يحملانه «سرًّا» أي علامة حسيّةٍ

يراها المجتمع.

ـ الزّواج سرٌّ لا ينفصم، فهو بالنّسبة للأزواج المسيحيين، اتّحاد المسيح بكنيسته. فلا يُسمح للرّجل بأنْ ينفصلَ عن زوجته تمامًا كما لا يُسمح للمسيح بأنْ يتحررَ من تجسّده وينفصل عن البشريّة « مَنْ يفصلنا عن محبّة يسوع؟... لا موت ولا حياة... ولا حاضر ولا مستقبل ولا قوّات... ولا خليقة أخرى تستطيع أن تفصلنا عن محبّة الله الّتي بيسوع المسيح ربّنا» (رو٨: ٣٥-٣٩).

الأسرار أسرار إيمان، ولا تعود تُفهم إذًا بـ « صدى الإيمان»... يقولون: أنا مؤمن لكنّني لستُ ممارسًا للأسرار. بماذا تؤمن؟ وأيُّ إيمانٍ هو إيمانك؟ هذا البحث هو محاولة لتجديد نظرتنا الإيمانيّة بواسطة الأسرار، فحقيقة الأسرار هي رهن نور إيمان مَنْ يتقرّب منها.(١)

- تيودول ري -مرمية، الأسرار حياة الإيمان، مؤسّسة كومبوليث، بيروت، ١٩٨٦. ينظر(1)

وانظر فى ذلك أيضا: كتاب أسرار الكنيسة السبعة –مقدمة عامة–للدكتور / إبراهيم سدراك، والأسرار السبعة في سطور وآيات، للأنبا موسى الأسقف العام ، وأسرار الكنيسة السبعة لحبيب جرجس، وكتاب الوسائط الروحية للبابا شنودة الثالث.

المبحث الثاني

الكنيسة الارمينية ودورها في حياة الأرمن في مصر.

اولاً: الكنيسة الارمنية.

والكنيسة الأرمنية مستقلة عن الكنائس المسيحية الأخرى، وتسمى منذ سنة ٥٠٦م بـ (الكنيسة الرسولية المقدسة والجامعة). وللكنيسة الأرمنية أيضاً تسع رتب لخدمة الدين، أولها الجاثليق (الكاثوليكوس) الذي يعد أكبر سلطة دينية وروحية لدى الأرمن.وللكاثوليكوسية الأرمنية اليوم مركزان واحد في « اتشميازين» في جمهورية

أرمينية، وآخر في « أنطلياس» بلبنان، ويعرف باسم « كاثوليكوسية البيت الكبير لكيلكية.

وقد دخلت الكنيسة الأرمنية المجلس المسكونى للكنائس عام ١٩٥٢م وهي تعمل بنشاط في معركة تجميع الكنائس غير الخلقدونية[1] على عقيدة أساسية وهي القول بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح، وقد ظلت العقيدة الرسولية هي الأكثر انتشاراً في الكنيسة الكاثوليكية، والكنائس الأخرى.[2]

والكنيسة الأرمنية هي من أقدم الكنائس الشرقية نشأة وطقساً، ولا هوتاً، وقد بقيت مرتبطة بالأرض، والشعب واللغة عبر العصور فأخذت طابعاً وطنياً متميزاً ونستطيع القول: إن الكنيسة الأرمنية قد قامت عبر التاريخ بدور يتخطى الطقسية والرعوية والروحية، وإليها يعود الفضل في جمع شمل الأمة الأرمنية، وفي المحافظة على كيانها وهويتها، وفي تطور ثقافتها وعاداتها إن في الوطن الأصلي أو في بلاد المهجر كما كانت تتفق مع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في الأفكار والمعتقدات، وإن كان لها ترتيب كنسي خاص بها .

والأرمن – بالرغم من الاضطهادات التي تعرضوا لها – لم ينفصلوا عن جذورهم بل ازدادوا تمسكاً، وتعلقاً بديانتهم المسيحية، وصارت كنيستهم (كنيسة الشهداء) هي كنيسة خاضعة للكرسي البابوي الروماني، وتتبع الكنائس الكاثوليكية الشرقية، مقرها البطريركي في « بزمار» بلبنان، وتنتشر في بلاد الشتات خارج أرمينيا في حلب، ودمشق، وبغداد، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية.[3]

والكنيسة الأرمنية الكاثوليكية كسائر الكنائس الكاثوليكية تؤمن بكل المجامع المسكونية، وبكل المقررات والمراسيم التي نصت عليها بشأن لاهوت السيد المسيح، وسائر العقائد المسيحية كما أنها كنيسة أسرارية أى تؤمن وتعترف، وتعمل بالأسرار

---

(١) الموسوعة العربية ص ١١.

(٢) الطوائف المسيحية ص ٤ ، المسيحية النصرانية دراسة وتحليل تأليف الأستاذ / ساجد مير ط دار السلام للنشر والتوزيع – السعودية ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ص ١٤.

(٣) انظر هذه كنيستي إعداد الأب انطونيوس مكار إبراهيم راعي الأقباط الكاثوليك في لبنان دراسة متكاملة للكنائس الكاثوليكية على موقع كنيسة الاسكندرية الكاثوليكي – شبكة النت الجزء التاسع.

السبعة[1] في سائر صلواتها الليتورجيا [2]وتمنح سر الميرون للأطفال، كما تعطي سر الكهنوت للمتزوجين المدعوين لهذه الخدمة بعد دراسة كافة المواد اللاهوتية، ومعايشة الخبرة الحياتية بصدق واحترام إلى جانب بعض الشروط التي تضعها السلطة الكنسية في هذا الموضوع.

لقد عانت الكنيسة الأرمنية الكثير من الألم لذا لم تشارك في بعض المجامع الأولى التي عقدت في القسطنطينية عام ٣٨١م وأفسس عام ٤٣١م ولكنها قبلت بكل مقرراتهم وتعاليمهم[3] ويفتخر الأرمن بكونهم أول دولة اعتنقت المسيحية ديانة رسمية، ويلقب القديس « غريغوريوس » بالمنور لأنه الذي أدخل نور المسيح إلى أرمينيا.

وإلى هذا القديس يعود الفضل في تنظيم الكنيسة الأرمنية من حيث التعليم الديني والطقوس كما يعود إليه الفضل في تنصير البلاد المجاورة لأرمينيا مثل جورجيا والأغوان، ومن بعده اهتم القديس « نرسيس » الكبير بتنظيم شئون الكنيسة الأرمنية[4]

ثانياً: دور الكنيسة في حياة الأرمن في مصر.

وكانت كنيسة الأرمن في مصر تمثل مكاناً للعبادة، ومدرسة تعد الجذور الأولى لتعليم أبناء الأرمن قبل قيام مدرستهم عام ١٨٥٤م.

وكان يوجد كتاب للأرمن هو كتاب سركيس عام ١٨٢٢م في حارة زويله بالقاهرة، وفي هذا الكتاب كان الرهبان أو رجال الدين يقومون بدور تربوي فعال.

كما تكاتفت جهود أغنياء الطائفة لرعاية أبنائها، لتزايد مصالحها، ولهذا لعبت الكنيسة دوراً

(١) السابق ذكرها المراد بها هي أعمال مقدسة ومنح إلهية بها ينال المرء نعماً غير منظورة تحت مادة منظورة والأسرار السبعة هي : المعمودية، والميرون(سر الأرواح) بمعنى حلول الروح القدس في الإنسان، والشكر والتوبة والاعتراف ومسحة المرضى، الزيجه، الكهنوت أنظر / المسيحية الأسرار السبعة المقدسة موسوعة ويكيبديا على شبكة الانترنت

(٢) مصطلح الليتورجيا يوناني الأصل مكون من كلمتين (Loto) بمعنى شعبي ، (Orgo) بمعنى عمل شعبي وفي الكنيسة الأولى كان هذا المصطلح يشير إلى أي عمل تعبدي تقوم به الكنيسة ومن هذا المصطلح خرج مصطلح علم الليتورجيا وهو ذلك القسم من علم اللاهوت الذي يهتم بدراسة العبادة المسيحية عامة والليتورجيا الأهبة خاصة (انظر مقدمة في علم الليتورجيا ، مفهوم مصطلح الليتورجيا مقال للدكتور / جورج عوض على منتدى مسيحي أون لاين (شبكة النت بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١٩ م

(٣) انظر : هذه كنيستي – الجزء التاسع – إعداد الأب انطونيوس مقار إبراهيم

(٤) المصدر نفسه

محورياً في هذا الجانب، وقد كانت تابعة لكنيسة القدس ثم انفصلت عنها، وقد كان مطران الأرمن يتولى نظارة الكنيسة ويعد « بغيازاربيدروس» هو أول من أوقف أملاكاً لصالح أبناء الطائفة الأرمنية في مصر، وارتبط بهذه الكنيسة بداية تعليم الأرمن في مصر عام ١٨٢٨م.

كما برزت شخصية « جرابيت أغا» المتوفي عام ١٨٦٤ حيث ساهم في بناء كنيسة أخرى للأرمن في منطقة بين السورين عام ١٨٣٨ وهو أول أرمني ينفق من ماله الخاص من أجل إقامة أول مدرسة، ودار عبادة.

كما كان « أرتين بك تشاركيان» الذي يمثل جناح المثقفين الأرمن – كما أسلفنا – هو قطب الرحى الذي دار عليه أمر الأرمن الكاثوليك، وذلك لمكانته لدى محمد علي من ناحية، ومن ناحية أخرى ولثقافته الدينية وتمكنه اللغوي الذي مكنه من ترجمة عدد كبير من الكتب الفرنسية إلى التركية لخدمة الجيش وهذه الأمثلة من الشخصيات الدينية الأرمنية قد أفادت بضلوعها ونفوذها في الحياة السياسية في مصر الجانب الديني للطائفة فقد حرصوا على تثبيت مكانتهم الدينية والاجتماعية في مصر.

بل إن علاقتهم بالمجتمع المصري والسياسة المصرية قد توطدت وسادها جو الحرية والمساواة وحصلوا على حقوقهم الدينية كاملة حتى إن بعض الأرمن المماليك أمثال محمد كتخدا المسلماني (١٧٩٠-١٨٠٠) ومصطفى كخيا جبرجي وبيدروس وغيرهم قد اعتنقوا الإسلام لما لمسوه من المسلمين في مصر من أخلاق نبيلة واحترام لإخوانهم المسيحيين بالإضافة إلى ما غمرهم به حاكم مصر محمد علي من رعاية وحنو وعدالة وهو ما دفع الأرمني يوسف الطرزي وهو أرمني كاثوليكي كان يعمل في وظيفة مترجم ومسئول عن مخازن الذخيرة إلى أن يقدم شكوى إلى محمد علي بسبب التفرقة في الزي المستند إلى العقيدة – حيث كانوا يرتدون ملابس خاصة تميزهم – فاستجاب الوالي محمد علي وأصدر مرسوما في ١٤ مارس ١٨٠٧ يلغي هذا التميز[١]، وبذلك نعلم أن الأرمن في مصر عاشوا حياة دينية واجتماعية آمنة يؤدون طقوسهم وعباداتهم في حرية تامة، وحماية

(١) ينظر في ذلك عصر اسماعيل لعبد الرحمن الرافعي ط مكتبة النهضة ط ٢ عام ١٩٤٨ ج١ ص ١٩ ، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر صفحات ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، بتصرف.

كاملة لهم، ولكنائسهم

- يقول بيرج ترزيان: والأرمن عموماً حتى غير المتدينين منهم ينظرون إلى كنيستهم القومية باحترام بالغ ويعتبرونها ركناً هاماً من تراثهم القومي، وأي نشاط مناوئ لها يعتبرونه نيلاً من كيانهم الوطني.[1] لقد وقر في كل أرمينيا القديمة اعتقاد بأن مريم قد ولدت ابناً واحداً هو يسوع المسيح وأنها أقدس القديسات، والدة الإله، بهذه العقيدة التي أقرها مجمع أفسس الذي عقد لتصحيح عقيدة « نسطور » الذي كان يشغل كرسي الأسقفية البيزنطية والذي كان يقرر أن القديسة مريم ليست سوى أم لإنسان عادي وأنكر أن تكون أما لإله، لذا حكموا عليه بالإلحاد، وقاموا بلعنه، وطرده، وعزله من الكنيسة، وأقروا بأمومة مريم للإله يسوع، وأرسلوا في الآفاق ينشرون عقيدتهم هذه وكانت أرمينيا من أوائل البلاد التي أرسلوا إليها مقررات أفسس وعددها ستة مقررات التي مع نسخة منقحة من الكتاب المقدس.

وبهذا رسخ في أرمينيا اعتقاد ألوهية المسيح[2]، وتكفير « أريوس » وحرمانه وطرده، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان، وتحريق جميع الكتب التي لا تقول بألوهيته وتحريم قراءتها. بل تقرر التثليث الذي أصبح العقيدة الرسمية التي يجب أن يعتنقها كل مسيحي ويحكم بكفر من يقول بغيرها. وأخذت المذاهب المسيحية الأخرى التي كانت تقول بوحدانية الإله، وتعتقد بأن عيسى إنسان ولد من أم عادية وليس إله أخذت تتلاشى وتنقرض كل الانقراض، حتى إننا الآن لا نجد كنيسة مسيحية ولا فرقة واحدة من فرق المسيحية لا تقول بالتثليث رغم أنهم يتسترون وراء كلمات التوحيد فيقولون «تثليث في وحدية» أو « وحدية في تثليث» مع أنه لا يمكن أن يكون التثليث وحدانية ولا الوحدانية تثليثاً قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة : ٧٣].

تقرر التثليث إذن في الديانة المسيحية، وأجمع على اعتناقه المسيحيون، غير أنهم مع

---

(١) من مقالة لبرج ترازيان رئيس الجمعية الخيرية الأرمنية بالقاهرة بعنوان « قبول الأرمن وأذربيجان في المجلس الأوربي» في الملحق الشهري لجريدة أريف العدد ٨ أغسطس ٢٠٠٠ ص ٢،٣.

(٢) تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي / موريس خورينانس ص ٢٧٥.

إجماعهم على هذه العقيدة قد اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة، وأعطت كل طائفة لنفسها – نتيجة لهذا الاختلاف – لقباً خاصاً بها ولكنها ما كانت تخرج في ذلك عن أحد لقبين وهما الكاثوليكية، والأرثوذكسية.(1)

والأرمن في مصر قد اندرجوا تحت هذين المذهبين فوقر في نفوسهم اعتقاد التثليث وعليه عاشوا في كنائسهم وأماكن تواجدهم في مصر على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم وهنا نجد أنفسنا أمام ضرورة الوقوف على مذاهب الأرمن في مصر لنلقي الضوء على أحداثها بصفة عامة وعلى أهم طقوسها، وعقائدها بصفة خاصة، ثم نخلص إلى إبراز أهم النقاط التي اتفقت عليها تلك المذاهب وأهم النقاط التي اختلفت فيها.

المبحث الثالث

فرق ومذاهب الأرمن في مصر

تعددت فرق ومذاهب الطائفة الأرمنية في مصر، وهي منبجثة من الفرق المسيحية العامة،وقد آمنت واعتقدت بهذه العقيدة المسيحية سالفة الذكر رغم اختصاص كل فرقة أرمنية بطقوس وعبادات، وشعائر، وكنائس، ورؤساء تتفق أو تختلف قليلاً عن مثيلاتها من الفرق الأخرى، والناظر إلى المذاهب المسيحية عموماً في مصر يجد أنها تنقسم إلى ثلاثة:

* المذهب الأرثوذكسي
* المذهب الكاثوليكي
* المذهب البروتستانتي.

(1) انظر في ذلك الكاثوليك الأرثوذكس المارون البروتستانت تهذيب واختصار لما جاء في كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي بقلم / سليمان بن صالح الخراشي ص ٣ منشور على المنتدى الإسلامي العام بشبكة النت.

أما المذهب الأرثوذكسي فهو المذهب الغالب في مصر وهو محصور في أربعة طوائف:

١- طائفة الأقباط الأرثوذكس، وأفرادها مصريون أصلاً، وهذه الطائفة تتبع الكنيسة القبطية المصرية.

٢- طائفة الروم الأرثوذكس، وأفرادها من سكان الجزء الأوربي، وتتبع الكنيسة اليونانية.

٣- طائفة الأرمن الأرثوذكس، وأفرادها من أصل أرمني وتتبع الكنيسة الأرمنية.

٤- طائفة السريان الأرثوذكس، وأفرادها من أصل سوري، وتتبع الكنيسة السورية.

ثانياً: المذهب الكاثوليكي وطوائفه:

وهو مذهب كنيسة روما، وعقيدته الإيمان بطبيعتين للسيد المسيح طبيعة إلهية، وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً (فقد جاء من مريم ومريم من البشر) فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت – على حد تعبيرهم.[1]

وينقسم هذا المذهب إلى سبعة طوائف هي:

١- طائفة الأقباط الكاثوليك.

٢- طائفة الأرمن الكاثوليك.

٣- طائفة السريان الكاثوليك: وأفراد كل طائفة من هذه الطوائف من نفس الأصل الذي أشرنا إليه أنفاً.

٤- طائفة الموارنة الكاثوليك: وأفرادها من أصل لبناني.

٥- طائفة الكلدان الكاثوليك وأفرادها من أصل عراقي.

٦- طائفة اللاتين الكاثوليك وأفرادها من أصل أوربي.

وهذه الطوائف جيعها تخضع لرئاسة بابا الفاتيكان بروما

---

(١) انظر الكاثوليك الأرثوذكس المارون البروتستانت مرجع سابق.

ثالثاً: المذهب البروتستانتي.

وطوائف هذا المذهب هم المحتجون أتباع مارتين لوثر كنج الراهب الكاثوليكي الذي انتقد حال الكنيسة الكاثوليكية في الفترة ما بين ١٤٨٢-١٥٤٦ ودعا إلى حرية كل شخص لإعمال عقله في أحكام الإنجيل، وانتشر مذهبه في أوربا وأمريكا، وقد تعددت طوائف هذا المذهب حتى ازدادت على ١٥٠ طائفة، إلا أن القانون وحّدهم تحت مسمى طائفة الإنجيليين الوطنيين إشارة إلى أنهم لا يعترفون بما ورد في الإنجيل، ومجموعة الكنائس الإنجيلية معترف بها وفق قرار المجلس الانجيلي العام في جلسته ١٨٥٢ في ١٧/ ٤/ ١٩٨١ [1]، وهي كثيرة ومتعددة.

إن استقراء أحوال هذه الفرق والمذاهب،والوقوف على عقائدها وطقوسها لا تفي به هذه الورقة البحثية نظراً لضيق مساحتها واقتصارها على أرمن مصر خاصة ولذلك نوجه بحثنا إلى أشهر الفرق الأرمنية في مصر محاولين الإلمام بأهم عقائدها ووجه الاتفاق والاختلاف بينها بصورة تقدم لنا طبيعة الأرمن، وحالتهم الدينية، والعقدية في مصر.

ذكرنا أنفاً أن مجموع الكنائس الكبرى في مصر لا يخرج عن الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية (البروتستانت) والأرمن في مصر بكل مذاهبها العقدية والدينية قد اندرجوا تحت هذه الكنائس فانقسموا تبعاً لها إلى ثلاثة فرق:

اولها: الأرمن الأرثوذكس:

وهم يمثلون غالبية الأرمن في مصر، ولم تكن لهم أحياء خاصة بهم في مصر وإن كانت تجمعاتهم الشعبية محيطة بكنائسهم إلا أن أكثر تلك المناطق التي لازموا فيها دور عباداتهم منطقة درب الجنينة، كما أفاد الجبرتي بأن انتشار الأرمن عموماً، والأرثوذكس خصوصاً كان ملحوظاً في مصر القديمة، وكانت لهم بطريكخانة في شارع بين السورين.[2]

---

(١) انظر في ذلك الكنائس والطوائف والمذاهب المسيحية ضمن تقرير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الحالة الدينية في مصر ص ٩٩ ومابعدها ، طوائف المسيحية في مصر وتقسياتها للمستشار القانوني : صبري يوسف المدرس بالكلية الإكليركية بشبرا بالقاهرة ص ١-٣ دار التحرير للطباعة النشر سنة ٢٠٠٥

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي ط دار الجيل ببيروت ٤/ ٢٢٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ . ، الأقليات العرقية في مصر ص ١٥٣.

وكانت علاقتهم بالأقباط المصريين حميمة، وتصاهروا معهم، كما شيدوا كنيسة القديس « ميناس» في كوم الأرمن بالقاهرة، وتمركزا فيها وفي خان الخليلي والإسكندرية ورشيد ودمياط.

وبالجملة فإن الأرمن الارثوذكس كانوا الأكثر عدداً، والأقوى تأثيراً في الحياة المصرية، كما كانت منهم أشهر الشخصيات الأرمنية التي تولت كبرى الوظائف، والمناصب السياسية في مصر كما سبق، وهنا تجدر الإشارة إلى أن طقوس الأرمن الأرثوذكس متشابهة تماماً بل مشتركة مع الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقدونية (القبطية والسريانية) وأن الاختلاف – تقريباً – إنما هو في بعض الأمور المتعلقة ببعض القديسين كالأذياء الكهنوتية، وبعض الآراء، والمظاهر الطقسية منها:

- أنها لا تضع ماءً في الكأس المقدس (مع الخمر)
- كما أنها تحتفل بعيد الميلاد والغطاس في يوم واحد
- كما تستخدم الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في مصر الخبز (الفطير) والخمر الصافي دون مزجه بالماء.
- وتستخدم كذلك الستائر لفصل الهيكل عن الشعب تعبيراً عن السر الذي لا يقترب منه سوى الكاهن.
- ورجال الأكليروس يرتدون أبهى الحلل الطقسية أثناء القداس ويقومون بدورتين واحدة بالقرابين، ويطوفون بها حول المذبح، وأخرى بالإنجيل ويستعملون بعض اللغات بالإضافة إلى اللغة الأرمنية العادية محافظين على اللغة الأرمنية الكلاسيكية مع الترتيل والأناشيد الطقسية.
- كما تبنت الكنيسة الأرمنية بعض الطقوس الوثنية التي كانت منتشرة في أرمينية قبل دخول المسيحية إليها، وعمدت إلى تنصيرها، وإعطائها معان جديدة، ومن الأمثلة على ذلك عادة الأرمن قبل المسيحية إشعال النار، والالتفاف حولها، وقد قدس الأرمن هذه العادة، وجعلوا من النار مركزاً للمسيح نور العالم.
- كما يذهب الأرمن الأرثوذكس في عيد الربيع والزهور الذي يصادف عيد

الصعود إلى البساتين للاحتفال به.

- ومن الرتب الطقسية عند الأرمن رتبة فتح الأبواب في عيد الشمانين، ورتبة التوبة في الأربعاء من أسبوع الآلام، ورتبة السهر والتأمل في آلام السيد المسيح.
- كما أخذت (الليتورجيا) الأرمنية بعض الصلوات عن اللاتين مثل الصلاة الملائكية، وصلاة المسيحية، والتطواف بالأيقونات، والسجود أمام القربان وغير ذلك[1]

هذه صورة موجزة عن الأرمن الأرثوذكس أظهرت لنا دورهم في الحياة المصرية، وتمتعهم بجو الحرية، والأمان الذي ضمن لهم المجاورة الآمنة لطقوسهم، وعباداتهم في الوقت الذي اكتوى فيه أبناء جلدتهم بسعير الحرب، والإبادة الجماعية في بلدهم الأصلي، وفي بلاد المهجر وبالأخص تركيا كما سبق.

ثانيهما: الأرمن الكاثوليك.

تأسست بطريركية الأرمن الكاثوليك في مصر في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي وذلك على يد المطران إبراهيم أردزيفيان الذي عين بطريركا سنة ١٧٤٢ وأقر البابا « بندكتس الرابع عشر» سلطته الرعوية عليها في مصر ولبنان وسورية والعراق وكيليكية. أما في مصر فقد تكونت نحو أربعين أسرة، واستطاعت أن تدبر أول كاهن يرعاها.

كما بنت أول كنيسة لها سنة ١٧٣٧ باسم القديس (غريغوريوس المنور) وأول كاهن خدمها اسمه الأب « يعقوب» وعاونه آخر باسم غسبار كما بدأ تدوين أبناء الطائفة في سجلات العماد والزواج.

وفي عهد محمد علي استطاع الأب « مسروب أيوازيان» شراء قطعة أرض في منطقة مصر القديمة، وبنى على جزء منها كنيسة باسم السيدة العذراء، وخصص الجزء الباقي لمدافن الطائفة، ومازال هذا الوضع قائماً حتى الآن.

---

(١) طقوس الكنيسة الأرمنية مقال على موقع الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية

ثم قام الأب « بدروس أهارونيان» ببناء كنيسة أخرى باسم القديس « غريغوريوس المنور» أيضاً في درب الجنينة بالموسكي سنة ١٨٣٧ ثم دشنت كنيسة في شبرا سنة ١٨٨٦

وفي الاسكندرية قام يعقوب أرتين باشا بشراء قطعة أرض سنة ١٨٨٩ بنيت عليها كنيسة جديدة دشنت سنة ١٨٩٠ وبنيت كنيسة أخرى بواسطة أبناء خليل ونصري خياط باشا سنة ١٩٣٢، وفي سنة ١٩٠٥م اشترى الأرمن الكاثوليك قطعة أرض بنيت عليها كاتدرائية البشارة، ومبنى للمطرانية بالقاهرة بشارع جامع جركس.

الهيكل التنظيمي للأرمن الكاثوليك

لقد تعاقب على رعاية هذه الطائفة جملة من المطارنة أشهرهم:

- بوغوص عطاريان (١٨٣٩ -١٨٦٦).
- برناباس اكشيريان (١٨٨٦ -١٨٩٨).
- بوغوص صباغيان (١٩٠١-١٩٠٤).
- مسروب طافتيان (١٩٠٤-١٩٠٨).
- يوحنا كوزيان (١٩١١-١٩٣٣).
- يعقوب نسيميان (١٩٣٣-١٩٠)
- روفائيل بايان (١٩٦٠-١٩٨٩) بطرس طاطا آخر المطارنة حتى الآن.

وللأرمن الكاثوليك مجلس ملي برئاسة المطران بطرس طاطا، وعضوية تسعة علمانيين، وكاهن واحد، كما يتبع الأرمن الكاثوليك مدرسة راهبات الأرمن الكاثوليك في مصر الجديدة تديرها راهبات الطائفة.

والبطريرك الحالي من أبناء مصر هو « يوحنا بطرس» الثامن عشر كسباريان وقد ولد بالقاهرة في ٢٠ يناير ١٩٢٧ ودرس بمدارس العزير بالقاهرة ثم سافر إلى لبنان حيث التحق بإكليريكية دير بزمار، ثم ذهب إلى روما لدراسة الفلسفة واللاهوت في المعهد البابوي للأرمن والجامعة الغريغوارية هناك كما نال درجة البكالوريوس في الحق القانوني من جامعة « لاتيران » بروما، سمياكاهناً في روما ١٣/ ٤/ ١٩٢٥م وتولى منصب نائب

المدير في أكليريكية بزمار لبنان ثم في المعهد البابوي بروما، وقد خدم كاهناً بالقاهرة، ثم انتخب أسقفاً للأرمن الكاثوليك في بغداد سنة ١٩٧٢، وانتخب بطريركا في ١٩٨٢/٨/٧"(١)

ثالثها: الأرمن البروتستانت النشأة والمعتقد:

وفي القرن السادس عشر الميلادي وعلى يد مارتن لوثر(١٤٨٣-١٥٤٦) تأسس المذهب البروتستانتي وهو ثالث أكبر المذاهب المسيحية بعد الكاثوليكية والأرثوذكسية وتنتشر بشكل خاص في شمال أوربا والولايات المتحدة واستراليا. كان لوثر في بادئ الأمر رجل دين يتبع المذهب الكاثوليكي وسلطة البابا حتى عام ١٥١٧م حيث أرسل البابا ليو العاشر موفدين إلى أنحاء أوربا كي يبيعوا لأتباع لوثر (صكوك الغفران) من الخطايا لحاجة البابا إلى المال لبناء كنيسة القديس « بطرس » في روما، عندما تعمق لدى مارتن لوثر الاعتقاد بفساد الكنيسة والبابا فاعترض على صكوك الغفران وسلطة البابا وعصمته وعصمة المجامع الكنسية العامة التي يعتقد بها الكاثوليك. وهنا شكل اعتراض لوثر على البابا وسياسته بداية انشقاق على الكنيسة الكاثوليكية، ونشوءًا لمذهب مسيحي جديد عُرف باسم « البروتستانتية» ويطلق على أتباعه اسم « البروتستانت» وتعني هذه الكلمة «المعترضون». أو المحتجون أي المعترضون على الكنيسة والبابا، كما يطلق على أتباع هذا المذهب أيضاً اسم الإنجيليين لاعتقادهم بأن الإنجيل هو أساس معتقداتهم، وليس تفسيرات رجال الدين، كما تعتقد المذاهب الأخرى وخاصة الكاثوليك.

لقد قامت البروتستانتية على أفكار مارتن لوثر التي كانت تدور حول أمور ثلاثة:

١- ليس للبابا سلطة على الكنيسة الجامعة، وليس للكنيسة أن تحتفظ بممتلكات مادية.

٢- خلاص المسيحي يكون بالإيمان فقط وليس بالإعمال

٣- الكتاب المقدس (العهد القديم التوراة – والعهد الجديد الإنجيل) هو ينبوع الإيمان وحده، ولكل إنسان الحق في تفسيره وليس حكراً على رجال الدين.

---

(١) تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٣

وهذا تعرض لوثر بسبب هذه الأفكار إلى الطرد من الكنيسة، وحرق كتبه ومحاربته غير أنه حظي ببعض الحماية من بعض أمراء بلده (ألمانيا)، ومنها بدأت أفكاره إلى أوربا، وأحدثت فيها انقلاباً كبيراً.ثم افترق البروتستانت إلى مذاهب وفرق عديدة أبرزها: اللوثرية، والمعمدانية، والكالفينية، والإنجليكانية، والإنجيلية......وغيرها.

وأما قدوم المذهب إلى بلاد العالم العربي والإسلامي، فقد كان في القرن التاسع عشر عندما نجح المنصرون البروتستانت في إدخال مذهبهم[1] إلى مناطق العرب ونجحوا في استمالة مجموعات من المسيحين إلى مذهبهم، بل نجحوا -للأسف - في تنصير بعض المسلمين وقد ساعدهم على ذلك صدور الفرمان الذي أصدره السلطان العثماني سنة ١٨٥١م بالاعتراف الرسمي بمذهبهم

وأما في مصر – بالتحديد – فقد بدأ دخول البروتستانت في منتصف القرن التاسع عشر عندما جاء أحد البروتستانت الأمريكيين ويدعى لانوش وأقام في الإسكندرية ثم لحقه مرسل من اسكتلندا يدعى يوحنا هوج، الذي استقر في أسيوط منذ سنة١٨٦٥ وبدأ عمله التبشيري حتى نجح في نشر المذهب فوصل عدد المنتسبين إليه إلى حدود مليون و ٣٥٠ ألف نسمة.منهم مليون في السودان وحده و٢٠٠ألف في مصر، و٧٠ ألف في سوريا ولبنان، وبضعة آلاف في الدول العربية، يضاف إليهم ١٥٠ ألفاً من الأقباط الإنجيليين وعشرة آلاف من الأرمن الإنجيليين.

بهذا أخبرت موسوعة المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي[2] الصادرة في سنة ١٩٩٠م، ص١٣٩ في الوقت الذي نصت فيه موسوعة عالم الأديان الصادرة سنة ٢٠٠٥م ص ١٤٣ على أن الدراسات الإقليمية تذكر أن عدد البروتستانت العرب المقيمين في البلدان العربية لا يتجاوز المائة وخمسين ألف نسمة موزعين بأكثريتهم على السودان ولبنان وسوريا ومصر"

---

(١) انظر مقال : مائة منظمة تنصيرية تعمل في العراق تحت شعار « الإغاثة الإنسانية» المنشور في مجلة المجتمع الكويتية ٢٩/٣/٢٠٠٨.

(٢) ينظر في ذلك موسوعة عالم الأديان الصادرة إشراف ط / مفرج سنة ٢٠٠٥ جـ١٦ ص١٤٣، المجموعة العرقية والمذهبية في العالم العربي الصادرة سنة ١٩٩٠م إشراف / ناجي نعمان ص ١٣٩، موسوعة الأديان الميسرة إصدار دار النفائس لمجموعة من الباحثين، المواقع البروتستانتية و موسوعة ويكيديا على شبكة الانترنت.

وهذا التضارب في أعداد المتسبين إلى المذهب يؤكد ما أشرنا إليه في مقدمة بحثنا من محاولة بعض هذه المجموعات المسيحية إظهار المسكنة والضعف لاستمالة القلوب إليهم للحصول على المزيد من الحقوق، بل واستثارة الرأي العام العالمي وخاصة أوربا وأمريكا على العالم الإسلامي وهو ما يؤكده الواقع الذي لا يتوافق مع وضعية الأقليات المسيحية في بلادنا الإسلامية وخاصة مصر.

على أن الذي نؤكد عليه في هذا الصدد هو نزوح عدد كبير من الدعاة البروتستانت إلى مصر، وبذل ما في وسعهم لنشر البروتستانية، وقد تحقق مقصودهم حيث تردد على مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر المرسلون البروتستانت وفي طليعتهم « بيتر هيليخ » والدكتور « فريدريك وليم هوكر» وعلى أثرهما توافد المرسلون البروتستانت حتى تم افتتاح مدرستين للبنين والبنات بالقاهرة وفي عام ١٨٤٣م أنشئت كنيسة صغيرة بروتستانتية وبحلول عام ١٨٤٠م كان هناك ست اجتماعات بروتستانتية تعقد في القاهرة، وعندما دخل هؤلاء المرسلون إلى مصر ادعوا أن هدفهم هو إصلاح الكنيسة القبطية من الداخل وليس المقصود تكوين جماعات داخل الكنيسة القائمة بمصر تسير على نظام كنيسة انجلترا، بل الهدف هو إنهاض هذه الكنائس وإجراء التعديلات الداخلية فيها بواسطة رؤسائها أنفسهم هذا وقد اتخذ المرسلون منزلاً متسعاً بدرب الجنينة بالموسكي وهي المنطقة التي جذبت إليها غالبية الأقليات المسيحية التي احتضنتها مصر وفي مقدمتهم الأرمن والفرنسيسكان والروم....وغيرهم.

وفي الإسكندرية افتتح «يوحنا هوج» أول مدرسة إنجيلية ثم بدأ النشاط البروتستانتي، منذ عام ١٨٨٥ فانتشرت البروتستانتينية من الموسكي إلى مختلف أحياء القاهرة.

وكانت الخطة المتبعة هي شراء الأراضي، وإقامة المدارس حتى يمكن جذب الأولاد، وأولياء أمورهم، ثم إقامة المدارس، وأحياناً كانت تقام الكنائس مع المدارس، وقد انتشرت هذه المدارس في عابدين، والمعادي، والقللي، والفجالة، وشبرا، والملك صالح، ومصر الجديدة، ومنشية الصدر، والعباسية وحلوان والشرابية، والزيتون وإلى أسيوط أرسل المجمع المشيخي « القس يوحنا هوج» فاشترى الأراضي وأقام مدرسة للبنين،

وأخرى للبنات، وعندما جذب البعض لتعاليم الكنيسة المشيخية أنشأ مدرسة لاهوتية واستخدم الأعضاء الجدد في نشر تعاليمه الجديدة في القرى المجاورة مثل المطيعة، وباقور، والنخيلة، وأبو تيج والزرابي والحواتكة.

وهكذا نشطت الإرساليات الأجنبية من أمريكا واسكتلندا وغيرها في ربوع مصر يقيمون المدارس والكنائس وينشرون تعاليم البروتستانتية ويجذبون ضعاف النفوس ثم يشحنونهم، ويحرضونهم ضد الكنيسة الأم حتى أصبحوا يحتجون على كل شيء متخيلين أن الحرية المسيحية هي الحياة بدون توبة متصلة، واعتراف، وجهاد روحي، وصوم، وتناول من الأسرار المقدسة...إلخ، حتى فقدوا كل شيء وعاشوا في قحط روحي، ونزاعات شخصية وانقسامات مُرّة"[1]

والأرمن البوتستانت في مصر هم ضمن اتحاد الكنائس الأرمنية البوتستانتية في الشرق الأدنى الذي يضم سبع دول هي (سورية ولبنان وتركية وإيران ومصر وقبرص واليونان وهذا الاتحاد يضم إليه أربعة دول أخرى هي اتحاد الكنائس البروتستانتية في فرنسا، وأرمينيا، وأمريكا الجنوبية، والشمالية مع كندا، والكنائس الأرمنية البروتستانتية (اليوروآسيا) (بلجيكا – السوي- ألمانيا – بريطانيا- باقي بلدان آسيا) وهذه الاتحادات الخمسة هي التي تكوّن المجلس العالمي للأرمن البروتستانت، وهذا الاتحاد يرأسه القس (هاروتيون سليميان) وهو سوري الجنسية، ومن مواليد حلب عام ١٩٦٣م"[2]

هذه هي الصورة العامة والموجزة عن الفرق الأرمنية في مصر بأوضاعها، وأماكنها، وأهم قساوستها، ورموزها، وتبقى معنا في هذا الجانب زاوية لابد من الإلمام بها حتى تكتمل الصورة وهي زاوية الآراء والمذاهب الفكرية، والعقدية بالتركيز على أهم المسائل التي التقت فيها فرق الأرمن والتي افترقت حولها.

---

(١) ينظر ذلك كله في تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر (١٨٥٤-١٩٨٠) تأليف / أديب نجيب سلامة ط القاهرة سنة ١٩٨٢ صفحات ٥١/ ٥٦/ ٥٧/ ١٨٨ بتصرف كير تقرير الحالة الدينية في مصر ص ١٠٧،١٠٧، وأيضاً مقالة كتبها العلامة « أوريجانوس أدا ماتيوس» بعنوان الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر ، منشورة على شبكة النت، والكنيسة الإنجيلية المشيخية بجمهورية مصر العربية مقالة أخرى للقس / ألفريد صموئيل على مدونة صلاحية على النت

(٢) مجلة الجماهير الصادرة عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر – حلب حوار موفدة المجلة « ييانكا ماضية» مع القس « هاروتيون سليميان»

المبحث الرابع

الاختلافات العقدية بين المذاهب الأرمنية.

الاختلاف طبيعة البشر مهما أوتوا من درجات الوعي والإدراك، بل هو سنة إلهية وسر من أسرار الخلق قال تعالى: (ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) سورة هود أية ١١٧-١١٨)

وأتباع المسيحية بينهم من نقاط الاتفاق والوئام كما بينهم من وسائل الاختلاف وقضايا الشقاق ما قد وصل بهم إلى تكفير بعضهم بعضاً – كما هو شأن غيرهم من أرباب الديانات- غير أن الناس ليسوا على درجة واحدة في طريقة الحوار وعرض القضايا الخلافية فمنهم من يسعى بكل سبيل إلى إبراز عيوب خصمه وكشف عوراته غير مبالٍ بما بينهم من رحم الدين، ووحدة المنهل العقدي – وما أكثرهم – ومنهم من ينظر إلى طبيعة الحوار الجاد نظرة البصير خاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بالأخوة الدينية في مجتمع هم فيه غرباء فلا تراه مع خصمه في الظاهر إلا أخوين متحابين وإن كان بينهما من القضايا العقدية والفكرية والاجتماعية ما يُجري الدماء أنهاراً.

والأرمن في مصر كشأن المسيحيين هم من هذا الأخير حيث أوقعتهم ظروفهم فريسة الاغتراب وألجأتهم رحى الحروب إلى المهجرات والشتات -كما بينا- غير أنهم وجدوا في الكنيسة مرفأهم، وفي مصر أمانهم، وفي التوحد والالتحام فيما بينهم مخرجاً من ظلام الغربة، وقوة تقيهم من سعير الجوع والفقر، فاتجهوا – كما أشرنا سابقاً – إلى جميع الأعمال والحرف حتى غدوا رؤساء وعمداً للاقتصاد المصري، وامتلكوا ما لم يتهيء لأبناء مصر الأصليين وساعدهم ذلك على بناء كيانهم الديني، وبناء كنائسهم في كل ربوع مصر، وقد حاولوا إظهار وحدتهم أمام الأقليات الأخرى التي كانت تزاحمهم في بلد وجدوا فيه ما لم يجدوه في وطنهم الأصلي يقول الأب أنطونيوس مقار إبراهيم راعي الأقباط الكاثوليك مصوراً حال المذاهب الأرمنية فيما بينهم:

(إن العلاقة بين الأرمن الكاثوليك، والأرثوذكس تقتصر على الاحترام المتبادل،

والمشاركة في الاحتفالات والزيارات ولكن الحوار العقائدي غير قائم قد ساهم رئيس مجمع الكنائس الشرقية بشكل ملحوظ في تطبيع العلاقات بين الكنيستين، وتمتاز علاقة الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية بالطوائف الأرمنية الأخرى الأرثوكسية والبروتستانتية بأنها علاقات ممتازة فهم ينشئون دوراً مشتركة للعجزة، ومشاريع مسكونية أخرى......"[1]

يحاول الأرمن إذن أن يظهروا الوجه الحسن والصورة المثالية لواقعهم العقدي، غير ان الطبيعة البشرية كذلك فيها من خصال النفرة والشقاق مثلما فيها من الميول إلى الوحدة والوفاق. يؤكد ذلك جواب أحد الشمامسة الاكليريكيين[2] على سؤال وجه إليه حول النقاط التي يكفر بها فرق المسيحية بعضهم بعضاً فرفع أمام السائل جملة الفروق العقدية الجوهرية بين طائفتي الأرثوذكس، والكاثوليك وهي كثيرة والفروق بين هاتين وبين البروتستانت.

والحق أن عرض جلة النقاط المتفق عليها بين الأرمن والمختلف فيها بينهم أمر يطول الحديث فيه، وربما خرج بنا إلى دوائر رحبة تبتعد بنا عن الهدف الأساسي من عرضها وهو إبراز ماهئيته البيئة الاجتماعية والدينية لطائفة كانت ولا تزال أقلية بين ربوع الأمة الإسلامية وبالتحديد مصر قلب العالم الإسلامي، وها هي بعض تلك المسائل العقدية التي ضربت فيها المذاهب المسيحية بسهم وافر من الاتفاق أو الاختلاف وهي تمارس حوارها العقدي في ظل الأمن والاستقرار والحرية التامة في مجتمع هم فيه قلة مغتربة ومن أقلام تستمد أحبارها من عقلية ضخمة ورأس محرك للأمة المسيحية في مصر بل العالم كله لما لها من سلطة روحية وفكرية نافذة نلتقط بعض تلك المسائل العقدية من البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، وسائر بلاد المهجر حيث حدد مجمل الخلافات بين الكنيستين الأرثوذكسية والبروتستانت في أكثر من ثلاثين مسألة وإليك بعضها حيث يقول:

الخلافات كثيرة/ بعضها في العقيدة والإيمان، وبعضها في الطقوس والبعض الثالث

(١) هله كنيستي / الجزء التاسع إعداد الأب / أنطونيوس مقار إبراهيم راعي الأقباط الكاثوليك في لبنان كتاب منشور على شبكة النت

(٢) الشماس الاكليريكي / عهدي سامي على منتدى حراس العقيدة شبكة الانترنت

في النظام الكنسي، وفي أمور العبادة وأهم الخلافات بيننا وبين البروتستانتية مايلي:

١- اعتقادهم بالطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح.

بينما تؤمن الكنيسة القبطية أن طبيعة السيد المسيح اللاهوتية، وطبيعة الناسوتية متحدتان معاً في طبيعة واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد ونحن نؤمن أن السيد المسيح كامل في لاهوته، وكامل في ناسوته، وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، لذلك لا نتكلم مطلقاً عن طبيعتين بعد الاتحاد.

٢- انبثاق الروح القدس

يعتقد البروتستانت مثل الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الأب والابن وهذا مخالف لعقيدة كنيستنا التي تؤمن بانبثاق الروح من الأب وحده حسبما ورد في (يوه ١: ٢٦).

٣- عدم إيمانهم بأسرار الكنيسة السبعة.[1]

وإن وجد عندهم شيء من ذلك لا يسمونه سراً مثال ذلك: يوجد زواج عند البروتستانت، ولكنه مجرد رابطة أو عقد بين اثنين، وليس سراً كنسياً، وكذلك توجد عندهم معمودية ولكنهم يسمونها فريضة.[2]

ولنتوسع قليلاً في عرض بعض هذه المسائل العقدية بصورة أكثر شمولاً لآراء المذاهب الأخرى حتى تتم المقارنة بوضوح فلنذكر من هذه المسائل في صورة المقارنة:

مسالة المعمودية:

الأرثوذكس: سر يحصل به المعمد على نعمة الميلاد الجديد وهو باب كل الأسرار، ويتم بالتغطيس للصغار والكبار، ومادة السر الماء. الكاثوليك: يجوز العماد بالرش أو السكب. البروتستانت: ليس سراً مقدسا بل علامة يجوز ممارستها بالرش أو التغطيس والمعمودية التي يعترفون بها هي معمودية الروح القدس بدون ماء.

---

(١) سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن عقيدة الأرمن.

(٢) انظر كتاب اللاهوت المقارن تأليف/ البابا شنودة الثالث نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية – القاهرة ط الثانية ١٩٩٢م رقم إيداع ٨١٨٣/ ١٩٩١م الجزء الثالث من ص ١٢-٢١

مسألة الميرون:الأرثوذكس: سر ينال به المعمد نعمة الروح القدس ومادة السر الزيت ويرشم به أعضاء الجسم ٣٦رشمة.الكاثوليك: مثل الأرثوذكس إلا أن ممارستهم تكون في السن بين ٧-١٢ سنة البروتستانت: لا تؤمن به – كما سبق من كلام البابا شنودة – إلا بعض طوائفها ولا يتم بالزيت بل بوضع اليد.

مسألة الاعتراف:

الأرثوذكس: سر ينال به المعترف الحل من خطاياه إذا تاب منها واعترف بها الكاثوليك: كانت هناك صكوك غفران تباع وتشترى عن الخطايا السابقة والحالية في العصور الوسطى ويتم السر وراء الستار البروتستانت: لا اعتراف إلا أمام من أخطأ المؤمن له، أو أمام الكنيسة كلها، أو الله مباشرة

مسألة التناول:

الأرثوذكس: جسد ودم حقيقيان للسيد المسح بعد حلول الروح القدس على الخبز والخمر، ولا يجوز استخدام فطير مختمر، ولا يجوز إقامة أكثر من قداس على مذبح واحد إلا بعد مرور ٩ ساعات ويشترط الصوم الانقطاعي قبل التناول الكاثوليك: منذ القرن ١١ بدأوا استخدام الفطير، ويمكن – عندهم – عمل أكثر من قداس على مذبح واحد، ولا يشترط الصوم قبل السر. البروتستانت: يكون السر للذكرى فقط، وليس هو تحول من الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه

مسألة الشفاعة:

الارثوذكس: تؤمن بشفاعة السيد المسيح الكفارية عن العبد لدى الرب، وتؤمن بشفاعة القديسين لدى الرب يسوع، وتكرمهم من خلال الأيقونات، وعمل التماجيد لهم. الكاثوليك/ مثل الأرثوذكس إلا أنهم يكرمون القديسين من خلال التماثيل البروتستانت: يؤمنون بشفاعة السيد المسيح الكفارية فقط وينكرون شفاعة السيدة العذراء والقديسين.

مسألة العذراء:

- الأرثوذكس: وارثة لخطيئة آدم مثل سائر البشر، وتحتاج لخلاص المسيح، ولكنها ولدته ولها كرامة عظيمة الكاثوليك: مولودة دون أن ترث الخطيئة الأصلية، ولا تحتاج

لخلاص السيد المسيح ويكادوا يعبدونها. البروتستانت: ينكرون لقب والدة الإله، وشفاعة السيدة العذراء وينكرون دوام بتوليتها.

- المجيء الثاني
  - الأرثوذكس: مجيء ثاني علني في الدينونة
  - الكاثوليك: مثل الأرثوذكس

  البروتستانت: المجيء الثاني على دفعات منها مجيء السيد المسيح ليملك ألف سنة على الأرض ثم الدينونة

- التقليد الأرثوذكس: تؤمن بالتقليد «تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي أخذه منا» (تسالونيكي الثانية ٣:٦)، «ما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونوا أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً» (رسالة تيموثاوس الثانية ٢:٢) (ستجد النص الكامل للكتاب المقدس هنا في موقع الأنبا تكلا)
- الكاثوليك: تؤمن بالتقليد ولكنها تضيف قوانين نسبتها إلى الرسل وآباء الكنيسة الغربية والمجامع المحلية

البروتستانت: لا تؤمن بالتقليد

* طبيعة السيد المسيح الأرثوذكس: طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد. «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (إنجيل يوحنا ٢١: ١٧)

الكاثوليك: طبيعتين للسيد المسيح

البروتستانت: طبيعتين للسيد المسيح

* الروح القدس الأرثوذكس: منبثق من الآب، «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يوحنا ٢٦: ١٥)

الكاثوليك: منبثق من الآب والابن .. البروتستانت: منبثق من الآب والابن

مسألة الدينونة:

الأرثوذكس: أبدية للأبرار في الملكوت، وللأشرار غير التائبين في الجحيم.

الكاثوليك: يعترفون بالمطهر يتعذب فيه المؤمن على قدر خطاياه ثم يدخل الملكوت
البروتستانت: مثل الأرثوذكس"(1)

يتضح مما سبق مدى الاختلاف العقدى والفكرى بين المذاهب والفرق الارمنية فى مصر بل إن الاختلاف كان مستمرا بين :

- أتباع المذهب الأرثوذكسي فيما بينهم في أصل العقيدة وقانون الإيمان، ولذلك فإن الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية فضلاً عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية تحكم بكفر وهرطقة الكنيسة المصرية .

- الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والأفكار الغنوصية من آثارطاغية على عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية كما برز لنا كذلك مدى ماخلفته

- كان للتلفيق بين تعاليم النصرانية، والعقائد الوثنية في مصر، وبلاد الكنيسة الأرثوذكسية- بزعم الترغيب في النصرانية- أثره البالغ في انحراف عقائد وأفكار الكنيسة .

- ظهرت القسوة والاضطهاد بين أبناء الملة الواحدة لمحاولة السيطرة، وفرض مذاهبهم بالقوة، مثل ما حدث بين أتباع الأرثوذكسية البيزنطية وبين أبناء الكنيسة المصرية من الاضطهاد والتعذيب، وبين أتباع الكنائس الغربية، سواء كانت كاثوليكية أو بروتستانتية أو أتباع الأرثوذكسية .

هذا وقد جمع الدكتور / على عبد الواحد وافي جملة المسائل التي اعتقدها البروتستانت منفردين بها عن غيرهم من النحل المسيحية بوجه عام ،وعن الكاثوليكية بوجه خالص حيث قال: "وإنما تختلف البروتستانتية عن غيرها من النحل المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية من أهمها ما يلي:

١- تستمد البروتستانتية جميع الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والشرائع من

---

(١) انظر ذلك في " اللاهوت المقارن جـ١ ص ١٤، مرجع سابق ، الكاثوليك ، الأرثوذكس، البوتستانت ملخص لكتاب الأسفار المقدسة للدكتور مرعلي عبد الواحد وافي مرجع سابق ص ٢، موسوعة عالم الأديان مرجع سابق، موسوعة الأديان الميسرة، مرجع سابق، الاختلافات بين الطوائف المسيحية الثلاث الكبيرة للقس / إبراهيم عبد السيد، المجموعة الفرعية المذهبية في العالم العربي ص ٩ مرجع سابق

الكتاب المقدس وحده، ولا تقيم لغيره وزناً في هذا الصدد إلا إذا كان تفسيراً معقولاً لما ورد في هذا الكتاب؛ على حين أن الكنائس الأخرى تستمد أحكامها من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس، ومن ثم سميت الكنائس البروتستانتية الكنائس الإنجيلية لاعتمادها على الإنجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام، بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لاعتمادها على التقاليد المستمدة من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة، وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطاناً في تقرير حقائق العقائد والعبادات والشرائع .

٢- لا تقرر البروتستانتية البابوية أو الرياسة العامة في شئون الدين، ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما تجعل لكل كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها، وليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد والقيام على شئون العبادات والواجبات الدينية الأخرى،وعلى تعليم مسائل الدين، ولا يسمون رجال الدين قسسا كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما يسمونهم «رعاة» لأنهم يرعون تابعي كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على الراعي أن يؤديه نحو رعيته من واجبات .

٣- ليس في البروتستانتية نظام الرهبنة، وهي لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم .

٤- تنكر البروتستانتية كل الإنكار أن يكون لرجل الدين الحق في غفران الذنوب في حالة الاحتضار وغيرها، وإنما تجعل ذلك الحق لله وحده، فيقبل إن شاء توبة العاصي ويغفر له ما تقدم من ذنبه، بل إن أهم ما اتجهت البروتستانتية في نشأتها إلى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان في محو الذنوب، وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران.

٥- تقرر البروتستانتية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر في العشاء الرباني هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكر ما قام به المسيح في الماضي؛ إذ قدم جسمه للصلب ودمه للإراقة لتخليص الإنسانية من الخطيئة الأزلية، ولتذكر ما سيقوم به يوم القيامة إذ يدين الناس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم، وبذلك تنكر البروتستانتية كل الإنكار ما تذهب

إليه الكنائس الأخرى إذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولها إلى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه

٦- تنكر البروتستانتية إنكاراً باتاً جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وتعتبر ذلك خروجاً على أصول الدين .

٧- تحرم البروتستانتية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود، معتمدة على تحريم التوراة لذلك وعلى أن شريعة موسى شريعة للمسيحيين إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله .

٨- تحرم البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد، كما تفعل الكنائس الأخرى التي تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية [1]، وهي في الغالب لا تخرج عما ذكره البابا شنودة وغيره.

بهذه الصورة العقدية عاش الأرمن في مصر دون أدنى غضاضة أو تكدير، ومازالوا يؤدون طقوسهم - رغم ما بها من تناقض فيما بينهم بالإضافة إلى أنها كذلك مرفوضة في نظر الإسلام لمخالفتها لوحي السماء، وتناقضها مع العقل، يؤدونها وبحرية تامة، وكنائسهم ودور عباداتهم محفوظة بأيدي المسلمين أنفسهم بمقتضى ما رسخه الإسلام الحنيف من حفظ حق الجوار وحرمة الاعتداء على الآخر وإن اختلف معهم في الدين.

قال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة : ٨].

فأين ما يدعيه أصحاب الأقلام المأجورة والدعوات الماكرة من ادعاء الاضطهاد المسيحي والكنسي في مصر إذن؟؟

---

(١) الكاثوليك ، الأرثوذكس ، المارون ، البروتستانت/ لسليمان بن صالح الخراش مرجع سابق، المسيحيون العرب الدور والحضور (عدد خاص من مجلة معلومات الصادرة عن المركز العربي للمعلومات في بيروت العدد ٤٥ أغسطس آب ٢٠٠٧.

الخاتمـــة

وبعد هذه القراءة الموجزة في تاريخ طائفة الأرمن المسيحية التي وفدت إلى مصر، وعاشت بين أحضانها، وانتشرت في ربوعها، وبعد قراءتنا كذلك لعقيدتها وطقوسها نخلص إلى بعض الحقائق الهامة ومنها:

- أن طائفة الأرمن كانت ضمن الأقليات التي وفدت إلى مصر وقد وجدت فيها الملاذ الآمن، والعيش الرغيد وهو الأمر الذي مكنها من التربع على قمة الحكومة المصرية حيث كان منهم أول رئيس وزراء وهو « نوبار باشا» وهو ما يؤكد على قوة دورهم السياسي ومشاركتهم بفاعلية في السياسة المصرية من خلال شخصيته فقد تولي وزارة الخارجية أربع مرات في الفترة من ١٨٦٦ – ١٨٨٨ وفي عام ١٨٧٨م ثم ارتقى إلى تولي رئاسة الحكومة وهو الأمر الذي يعكس التمكين الكامل لهذه الأقلية من أعلى المناصب وأخطرها – رغم الاختلاف العرقي والديني.
- كذلك أفرز استقرار الأرمن، وشعورهم بالأمان في مصر انتعاشاً لأحوالهم الاقتصادية وهو الأمر الذي جعل لهم كياناً اجتماعياً، وطائفياً ذا أثر على أحوال البلاد بعامه كما كما هو واضح من وصفنا لإعمالهم ووظائفهم.
- كما انتعشت أحوالهم الاجتماعية وتمتعوا بحرية في مجالات الحياة الاجتماعية من زواج وطلاق ووصاية وارث، ووقف وغيرها وقد صدرت الأوامر الحكومية التي تكفل لهم حرياتهم الاجتماعية، ومنها الأمر الصادر في ٢١ سبتمبر عام ١٨٦٥م نبهت فيه نظارة الخارجية على (عدم التدخل في تركات الأرمن عندما يكون الورثة بالغين راشدين إلا في حالة شكوى أحدهم إلى المحكمة الشرعية. ومنها الأمر الصادر كذلك للداخلية في نوفمبر سنة ١٨٧٠ وهو تعليمات خاصة بالأرمن تتعلق بالإرث

والوصاية والوقف..... وغيرها"[1].

- كذلك لا يمكن بحال لباحث في الشأن الأرمني أن يغفل أحداث المذابح التي تعرضوا لها إبان المواجهات التركية التي كانوا ضمن رعاياها الأوربيين والتي أوقعت بالأرمن في أتون النيران المستعرة فأحرقتهم بلهيبها.

وبالنظر الدقيق لهذه القضية التي ما تزال في أروقة المحاكم الدولية وتشغل الرأي العام العالمي وتواجه بها تركيا، تبرز أمامنا حقيقة مؤكدة هي أن قصة المذابح تمثل الحجر الذي تتحطم عليه آمال ورثة الدولة العلية العثمانية في انضمامهم إلى أوربا، كما يقف القارئ للقضية كذلك على بعض الأوراق التي تقوي جانب تركيا في دفاعها عن نفسها ومنها تأكيد الأتراك على أن الرعايا الأرمن قد قاموا ببعض القلاقل داخل الولايات العثمانية، كانضمامهم إلى الروس ضد تركيا أملا في إقامة وطن خاص بهم (أرمينيا) ينعمون فيه بالاستقلال والحرية، كما قاموا بعمل ثورات داخل المجتمع العثماني الذي يواجه تحديات خارجية أقوى يضاف إلى ذلك أمر لا يقل خطورة عن هذا كله وهو محاولة قتل السلطان عبد الحميد ذاته فأصدر فرمانه بالنيل منهم.

- وأما في الجانب الديني فقد كانت مصر هي الحصن الآمن الذي وجد فيه أبناء أرمينيا أنفسهم فبالإضافة إلى الحرية الاقتصادية والاجتماعية تحققت لهم الحرية الدينية التي تطمح إليها كل النفوس المؤمنة – حيث نص القانون الذي أصدرته الحكومة المصرية للأقلية الأرمنية على أنه « لا يحق لأحد أن يتعرض لهم في ممارستهم أمور مذهبهم في بيوتهم ومساكنهم بحرية، وما يتفرع عنها من الأعمال، وأن لا يمانعهم أحد في الكنائس والأديرة والمعابد التي بيدهم، وتصرفهم منذ القديم، أو في دفن موتاهم بحسب الأصول المعتادة عندهم، أو في بقية الأمور الدينية التي يجرونها وأن لا يفحص أحد ولا يفتش الكنائس والأديرة الخاصة بالطائفة بدون أمر شريف ولا يمنعهم أحد من تعميرها

(١) وثائق مجلس الوزراء (الطوائف والجاليات الأجنبية) محفظة ١/أ (هـ/ ١/ ١٨٣١-١٣/ ١١/ ١٩٢٠) من الأرمن والروم

وترميمها الذي يجري بحسب وضعهم القديم وبحسب الأصول»[1]

- كما أباح هذا القانون نفسه حرية الاعتقاد الديني، وأن لا يجبر أحد من الأرمن تحت أي ظرف من الظروف على ترك دينه فنص على « أن من يطلب من الأرمن الدخول في الإسلام بلا غرض ولا عوض يكون سالماً من المداخلة المذهبية ولكن لا يجبر أحد على الدخول في الإسلام من الذين لا يقبلون برضاهم.»[2]

ونظراً لهذا الانتعاش والاستقرار الذي توفر للأرمن في مصر فقد نشطوا في ممارسة شعائرهم الدينية وازدهرت حياتهم الاجتماعية فطلبوا إنشاء المدارس والكنائس والأديرة، وإقامة الجمعيات الخيرية، وهي ما زالت تعمل إلى اليوم – وأوقفوا الأطيان على هذه المؤسسات.

وبمرور الزمن ومع انخراطهم في المجتمع المصري بهذه الحريات، وبفضل الرعاية التي أحاطت بهم في مصر لم يعد الأرمن يروا غير مصر بلداً لهم، وأصبح تعلقهم باستانبول (التي قضوا فيها نحبهم بعد نزوحهم من بلدهم الأصل (أرمينيا) أضعف من ذي قبل، على حين ظلت تربطهم بأرمينيا الوطن الأم أحاسيس غامضة فكانوا يعيشون عالمين الاول: وهو الذي يقيمون على أرضه واختلطت أسرهم بعاداته وتقاليده، واستقرت مصالحهم فيه، وكونوا تجاهه مشاعر وطنية من هذه الزاوية، والثاني: هو العالم الذي نزحوا منه (أرمينيا) فظلوا يهفون إليه، ولكن كان من العسير أن يحققوا فيه ما حققوه في مصر، فأعطوا ولاءهم لها، وقد عبر عن ذلك نوبار باشا حيث قال في مذكراته: « الإنسان لا يتخلى عن بلده كما يتخلى عن زوج أحذية بال... والمقصود ببلده هنا (مصر) وإذا كان الوالي لا يرحب بي فإمكاني ان أكون في بلدي (مصر) شخصاً عادياً أنعم باستقلالي ولكنني لن أكون على الإطلاق موظفاً في الباب العالي أي في استانبول»[3].

ويقول في رسالته إلى زوجته عام ١٨٦٧ « لقد فسرت لك خطابي السابق سبب تأخير رحيلي

---

(١) وثائق مجلس الوزراء نفس المصدر

(٢) المصدر نفسه

(٣) عصر حكاكيان للدكتور / أحمد عبد الرحيم مصطفى دار النهضة ١٩٩٠م ص ١٢٥-١٢٦ نقلاً عن الأقليات العرقية في مصر مرجع سابق ص ١٦٣.

إلى استانبول أنني أنتمي إلى مصر ولن نستطيع أنا وأنت أن نعيش في مكان آخر....»[1]

وهكذا عاش الأرمن في مصر ونعموا بالحرية والعدالة ولم تذكر كلمة واحدة من كلمات التاريخ الذي كتب بيد غيرهم فضلاً عما سطروه بأيديهم أن أحداً نالهم بسوء، أو أذى، وهو ما يؤكد على عمق التعاليم الإسلامية وصدق المشاعر الإيمانية التي جاء بها ديننا الحنيف: ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

ليلة الاثنين ٢٣/ رجب / ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥/ ٦/ ٢٠١١م

أبها – المملكة العربية السعودية

(١) المصدر نفسه

أهم المصادر والمراجع

١- أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة للدكتور فايز نجيب اسكندر ط الإسكندرية ١٩٨٣م

٢- استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا (آني) للدكتور / فايز نجيب اسكندر ط الإسكندرية ١٩٨٧م دار الفكر الجامعي

٣- الأقليات العرقية في مصر من القرن التاسع عشر تأليف / حلمي أحمد شلبي ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٩٣م

٤- الإقليم المصري والطائفة الأرمنية للكاتب الأرمني/ أرشاج آلبوبجيان ط القاهرة ١٩٦٠م

٥- تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية تأليف / سهام مصطفى أبو زيد ط دار الكتاب الجامعي القاهرة

٦- تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي تأليف / موسيس خوريناتسي نقله عن الأرمنية نزار خليلي ط دار أشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع دمشق – ط سبتمبر ١٩٩٩م

٧- تاريخ الأمة الأرمنية تأليف/ ك.ل.أستار جيان مطبوعات الاتحاد الجديدة الموصل سنة ١٩٥١م.

٨- تاريخ التعليم الأجنبي في مصر من القرنين التاسع عشر والعشرين تأليف، جرجس سلامة ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية / القاهرة ١٩٦٣م

٩- تاريخ الجالية الأرمنية في مصر للدكتور / محمد رفعت الإمام ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م

١٠- تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم تأليف فؤاد حسن حافظ ط دار نوبار القاهرة ١٩٨٦م

١١- تاريخ الصحافة السورية لأديب خضور دمشق ١٩٧٢م

١٢- تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر (١٨٥٤-١٩٨٠م) تأليف، أديب نجيب سلامة ط القاهرة ١٩٨٢م.

١٣- تطور الصحافة السورية في مائة عام تأليف/ جوزيف إلياس بيروت ١٩٨٣م

١٤- تقرير الحالة الدينية في مصر بأقلام فريق من الكتاب والباحثين صادر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام بالقاهرة العدد الثاني

١٥- التقرير الدولي لحرية الأديان لسنة ٢٠٠٥ الصادر من قبل مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل بسفارة الولايات المتحدة / بغداد العراق

١٦- جريدة «أريف» الأرمنية مجموعة أعداد لسنة ٢٠٠٠ الصادرة عن دار نوبار للطباعة بالقاهرة

١٧- جريدة (المقتبس) الذي أصدرها محمد كرد علي عام ١٩٠٨م

١٨- جريدة « هوسابير » الأرمنية / القاهرة عدد ١٠/ ٢/ ١٩٩٢م

١٩- جريدة الأهرام المصرية عدد ٤٣١١١، ديسمبر ٢٠٠٤، عدد ٤٣٩٥٨ لسنة ١٣١/ ٢٠٠٧
٢٠- جريدة الديار اللبنانية عدد ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٦
٢١- جريدة الشرق الأوسط – لندن – ٥أيار ٢٠٠٦
٢٢- جريدة المساء المصرية عدد ١٧٤٥٣ – المحرم ١٤٢٦هـ
٢٣- خطط الشام لمحمد كرد علي ط بيروت ١٩٧٠م
٢٤- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها تأليف / عبد العزيز الشناوي ط الأنجلو المصرية ١٩٨٣م
٢٥- دين الأرمن – الدين والقومية مقال منشور بمجلة الشبكة العراقية مجلة اسبوعية عامة تصدر على شبكة الانترنت
٢٦- طوائف المسيحية في مصر وتقسيماتها للمستشار القانوني / صبري يوسف المدرس بالكلية الاكليريكية بشبرا القاهرة ط دار التحرير للطباعة والنشر
٢٧- عجائب الآثار في التراجم والأخبار / لعبد الرحمن الجبرتي ط القاهرة مطبعة الأنوار المحمدية د-ت
٢٨- عصر إسماعيل/ لعبد الرحمن الرافعي ط مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٨م
٢٩- عصر حكاكيان للكدتور / أحمد عبد الرحيم مصطفى ط دار النهضة ١٩٩٠م.
٣٠- العلاقات العربية – الأرمنية صداقة ثابتة في جوار متوتر بقلم / شريف حكمت نشاشيبي / موقع العرب أون لاين
٣١- الفتوحات العربية لأرمينيا دراسة تاريخية للدكتور / فايز نجيب اسكندر بحث منشور في مجلة (سيرتا يصدرها معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسطنطينية العدد ٨/ ٩ سنة ١٩٨٣م
٣٢- القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين والحرب العالمية الأولى / لمحمد عبد الرحمن برج مجلة المؤرخ المصري كلية الآداب – جامعة القاهرة يناير ١٩٩٠م
٣٣- القضية الأرمنية في الدولة العثمانية للدكتور / محمد رفعت الإمام ط القاهرة ٢٠٠٢ دار نوبار للطباعة
٣٤- الكاثوليك، الأرثوذكس – المارون – البروتستانت اختصار لما جاء في كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور، علي عبد الواحد وافي بقلم / سليمان بن صالح الخراشي منشور على المنتدى الإسلامي العام بشبكة النت
٣٥- الكتاب المقدس ط دار الكتاب المقدس بالقاهرة
٣٦- اللاهوت المقارن تأليف / البابا شنودة الثالث نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية القاهرة ط الثانية ١٩٩٢م رقم إيداع ٨١٨٣/ ١٩٩١م
٣٧- مجازر الأرمن وموقف الرأي العام العربي منها/ لنعيم اليافي ط دار الحوار للنشر والتوزيع

اللاذقية سورية ١٩٩٢م

٣٨- المجتمع الإسلامي والغرب تأليف / هاملتون جب وهارولد بووين ترجمة / أحمد عبد الرحيم مصطفى ضمن سلسة « تاريخ المصريين» / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٠م

٣٩- مجلة (معلومات) الصادرة عن المركز العربي للمعلومات / بيروت عدد ٤٥ أغسطس ٢٠٠٧.

٤٠- مجلة الأسبوع الأدبي عدد ٧١٦ يوليو ٢٠٠٠

٤١- مجلة الجماهير الصادرة عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر – حلب.

٤٢- مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٨

٤٣- مجلة صباح الخير / القاهرة عدد يونية ٢٠٠٤

٤٤- المذكرات لمحمد كرد علي ط دمشق ١٩٥١م

٤٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للإمام / عبد المؤمن بن عبد الحق المعروف بالبغدادي (ت ٧٣٩هـ -١٣٣٨م) تحقيق محمد علي البجاوي ط القاهرة ١٩٥٤م

٤٦- المسيحية النصرانية دراسة وتحليل تأليف الأستاذ / ساجد مير ط دار السلام للنشر والتوزيع – السعودية ط الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

٤٧- المسيحية عبر العصور تأليف / إيرل كيرنز ط دار نوبار بالقاهرة ١٩٩٢م

٤٨- معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٨٤م

٤٩- موسوعة الأديان الميسرة إصدار دار النفائس لمجموعة من الباحثين

٥٠- الموسوعة العربية المجلد الأول تأليف / هيئة من الكتاب والمثقفين للموسوعة العربية العامة ط دار الفكر دمشق

٥١- موسوعة المجموعة العرقية المذهبية في العالم العربي الصادرة سنة ١٩٩٠م إشراف / ناجي نعمان

٥٢- موسوعة عالم الأديان – المجلد الخامس عشر والسادس عشر إشراف ط. مفرح الصادرة سنة ٢٠٠٥

٥٣- هذه كنيستي دراسة متكاملة للكنائس الكاثوليكية إعداد الأب / أنطونيوس مكار إبراهيم راعي الأقباط الكاثوليك في لبنان منشور على الإنترنت

٥٤- وثائق مجلس الوزراء (الطوائف والجاليات الأجنبية. محفظة ارأ (٥/ ١/ ١٨١٦-١٣-١١/ ١٩٢٠م).

٥٥- الوزارة والوزراء في مصر من العصر الفاطمي تأليف / محمد حمدي المناوي ط دار المعارف القاهرة ١٩٧٠م

الفهارس

الموضوع	الصفحة

* * *